



الكمال والجمال في القرآن الكريم

إعداد
أ. د. محمد مختار جمعة
وزير الأوقاف

١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م



المركز القومي للمكتبات والأرشيف





الهيئة المصرية للدراسات القرآنية

رئيس مجلس الإدارة

د. هيثم الحاج علي

المشرف على المشروعات الثقافية

د. محيي عبد الرحي

الإخراج الفني

أحمد طه محمود

تصميم الغلاف

نسرين كاشك

المراجعة اللغوية

سيد عبد المنعم

المتابعة

شريف عبد العزيز

المشروعات الثقافية



الكمال والجمال

في القرآن الكريم

إعداد

د. محمد مختار جمعة

رقم الإيداع بدار الكتب ١٠٢٩١/٢٠٢٠

ISBN 978-977-91-2853-5

الطبعة الأولى: للهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٢٠.

ص.ب ٢٣٥ رمسيس

١١٩٤ كورنيش النيل - رملة بولاق القاهرة

الرمز البريدي: ١١٧٩٤

تليفون: ٢٥٧٧٧٥١٠٩ (٢٠٢) داخل ١٤٩

فاكس: ٢٥٧٦٤٢٧٦ (٢٠٢)

الطاعة والتنفيذ

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

الأراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الهيئة، بل تعبر عن رأي المؤلف وتوجهه في المقام الأول.

حقوق الطبع والنشر محفوظة للهيئة المصرية العامة للكتاب. يحظر إعادة النشر أو الاستيعاب أو الاتساع بأية صورة إلا بإذن كتابي من الهيئة المصرية العامة للكتاب، أو بالإشارة إلى المصدر.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ كَتَبَ أَحْكَمَتَّ ءَايَاتِهِ ثُمَّ فَضَّلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴾

(هود: ١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله أهل الحمد، أهل الثناء والمجد، القائل في كتابه العزيز: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۗ (١) قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَنكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ (١)، والقائل ﷺ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (١) وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٢)، والقائل ﷺ: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (٣)، والقائل ﷺ: ﴿فَلَا أُفْسِرُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥)﴾

(١) [سورة الكهف، الآيات ١-٣].

(٢) [سورة الإسراء، الآيات ٩، ١٠].

(٣) [سورة فصلت جزء من الآية ٤١، الآية ٤٢].



وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَتَلْعَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين.

وبعد:

فالقرآن الكريم كتاب نور، وكتاب هداية، وكتاب رحمة، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن تمسك به هُدي إلى صراط مستقيم، حيث يقول نبينا ﷺ: «تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ اِعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ».

وهو أعلى درجات البلاغة والفصاحة والبيان، يتدفق الإعجاز من جميع جوانبه تدفقاً لا شاطئ له، فهو الذي يهجم عليك الحسن منه دفعةً واحدةً، فلا تدري أجاك الحسن من جهة لفظه أم من جهة معناه، إذ لا تكاد الألفاظ تصل إلى الآذان حتى تكون المعاني قد وصلت إلى القلوب.

(١) [سورة الواقعة، الآيات ٧٥-٧٩].

فكل لفظة أو كلمة في القرآن الكريم قد وقعت
موقعها حيث هي مقصودة لذاتها، لا يسد مسدها سواها
لا من المترادفات عند القدماء، ولا من حقول الاستبدال
الرأسي أو الأفقي عند المحدثين، وما ذكر في القرآن
الكريم كان مقصوداً لذاته لا يقوم الحذف مقامه، وما
حُذف كان حذفه في موضعه أبلغ من الذكر.

وهو أحسن القصص، حيث يقول الحق ﷻ مخاطباً
نبيه ﷺ: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾^(١)، وهو أحسن
الحديث، حيث يقول ﷺ: ﴿ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا
مُتَشَدِّهَا ﴾^(٢).

هذا وقد رفع الله ﷻ أهل القرآن إلى أعلى المراتب،
فهم أهل الله وخاصته، وتجارتهم لا تبور ولن تبور،
حيث يقول ﷻ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا
الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ
تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن
فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾^(٣).

(١) [سورة يوسف، جزء من الآية ٣].

(٢) [سورة الزمر، جزء من الآية ٢٣].

(٣) [سورة فاطر، الآيتان ٢٩، ٣٠].



وفي هذا الكتاب نحاول أن نقف على بعض وجوه الكمال والجمال المعنوي في القرآن الكريم، وعلى بعض وجوه البلاغة والبيان في هذا الكتاب العظيم، مع إبراز دلالات أسماء بعض سورته، وذكر بعض الأحاديث النبوية الشريفة وأقوال بعض أهل العلم والذكر في فضائله وفضائل أهله وحفظته، سائلين الله ﷻ أن يجعلنا من أهل القرآن، وأن يجعله حجة لنا لا علينا، وأن يعلمنا منه ما جهلنا، وأن يذكرنا منه ما نسينا، وأن يجعله شفيعاً لنا يوم الزحام، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل،،،

أ.د. محمد مختار جمعة مبروك

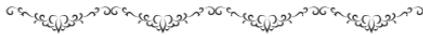
وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

عضو مجمع البحوث الإسلامية



المبحث الأول



أهل القرآن

أهل القرآن هم أهل الله وخاصته، يقول نبينا ﷺ:
«إِنَّ اللَّهَ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ؟
قَالَ: «هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ»^(١).

والقرآن هو كلام الله تعالى، المنزل على رسوله محمد ﷺ،
المتعبد بتلاوته، المتحدى بأقصر سورة منه أو آية، من قال
به صدق، ومن حكم به عدل، لا يشبع منه العلماء، ولا
تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد، يقول الحق ﷻ:
﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ
يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾^(٢) وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا^(٣)، ويقول ﷻ: ﴿اللَّهُ نَزَلَ
أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَدِّهَا مَثَانِي نَفْسَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ

(١) سُنَنُ ابْنِ مَاجَةَ، المَقْدَمَةُ، بَابُ فَضْلِ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ، حَدِيثٌ رَقْمٌ ٢١٥، وَمُسْنَدُ
أَحْمَدَ، ج ٣ ص ١٢٧، حَدِيثٌ رَقْمٌ ١٢٣٠١، وَالْمُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحِينَ، كِتَابُ فَضَائِلِ
الْقُرْآنِ، أَخْبَارٌ فِي فَضَائِلِ الْقُرْآنِ جُمْلَةً، حَدِيثٌ رَقْمٌ ٢٠٤٦.
(٢) [سُورَةُ الْإِسْرَاءِ، الْآيَاتَانِ ٩، ١٠].



يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقَلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ
ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا
لَهُ مِن هَادٍ ﴿١﴾ .

والقرآن الكريم كتاب هداية، حيث يقول الحق ﷻ:
﴿الذَّٰرِ ١﴾ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾،
وهو كتاب رحمة وشفاء، حيث يقول ﷻ: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ
الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا
خَسَارًا﴾ ﴿٣﴾، وهو نور يهدي به الله من يشاء من عباده،
حيث يقول الحق ﷻ: ﴿وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا تَهْدِي بِهِ مَن
دَشَاءُ﴾ ﴿٤﴾، لم تلبث الجن إذ سمعته أن قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا
مَّجْبَا ١﴾ يَهْدِي إِلَى الرَّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ ﴿٥﴾.

وعندما سمع (الأصمعي) امرأة بليغة فصيحة فأعجب
ببلاغتها وفصاحتها، فقال لها: ما أفصحك وما أبلغك!

-
- (١) [سورة الزمر، الآية ٢٣].
(٢) [سورة البقرة، الآيتان ١-٢].
(٣) [سورة الإسراء، الآية ٨٢].
(٤) [سورة الشورى، جزء من الآية ٥٢].
(٥) [سورة الجن، جزء من الآية ١، الآية ٢].



فأجابته: أي فصاحة وأي بلاغة إلى جانب فصاحة وبلاغة كتاب الله ﷻ، لقد جمع في آية واحدة بين أمرين وهيين وخبرين وبشارتين، وذلك حيث يقول الحق ﷻ: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فِإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَكَلِّمِيهِ فِي الْيَمْرِ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١) (٢).

أما إكرام الإسلام لأهل القرآن فحدث عنه ولا حرج، فهذا نبينا ﷺ يضرب أعظم المثل في بيان إكرام الله لأهل القرآن، فقد قال يوماً لسيدنا أبي بن كعب ؓ: «إن الله أمرني أن أقرئك القرآن»، قال الله سماني لك؟ قال «نعم»، قال: وقد ذكرت عند رب العالمين؟ قال: «نعم» فذرفت عيناه (٣)، وفي رواية الطبراني: «قال أبي: يا رَسُولَ اللَّهِ، وَذَكَرْتُ هُنَاكَ؟»، قَالَ ﷺ: «نَعَمْ بِاسْمِكَ وَنَسَبِكَ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى»، قَالَ: فَأَقْرَأْ إِذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ...» (٤).

(١) [سورة القصص، الآية ٧].

(٢) إثبات نبوة محمد ﷺ للإمام أبي العباس ضياء الدين أحمد بن عمر الأنصاري الأندلسي القرطبي، ص ١١٣. تحقيق: أحمد آيات بلعيد، ط: دار الكتب العلمية.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب من انتظر حتى تدفن، حديث رقم ٤٩٦١، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة ؓ، باب من فضائل أبي بن كعب وجماعة من الأنصار، حديث رقم ٧٩٩، واللفظ للبخاري.

(٤) المعجم الكبير للطبراني، ج ١ / ص ٢٢٦، حديث رقم ٥٤٠.

ولما صعد سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يوماً نخلة في حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضرة أصحابه، وكان نحيل الجسد والساق، فضحك بعض الحاضرين من شدة نحول ساقه، فقال نبينا صلى الله عليه وسلم: «مِمَّ تَضَحُّونَ؟» قالوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقِيهِ، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ هُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ»^(١)، وكان صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أَنْزَلَ فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ»^(٢)، وقال له نبينا صلى الله عليه وسلم يوماً: «اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اقْرَأْ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ؟! قَالَ: «إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي»، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النَّسَاءِ حَتَّى جِئْتُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَتُولَاءٍ شَهِيدًا﴾^(٣) قَالَ: «حَسْبُكَ الْآنَ»، فَالْتَمْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ^(٤).

- (١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، كتاب إخباره رضي الله عنه عن مناقب الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، حديث رقم ٧٠٦٩.
- (٢) مسند أحمد، ج ١ / ص ٢١١، حديث رقم ٣٥، والإحسان في تقريب صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، كتاب إخباره رضي الله عنه عن مناقب الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، ذُكِرَ الْأَمْرُ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ عَلَى مَا كَانَ يَقْرَأُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، حديث رقم ٧٠٦٦.
- (٣) [سورة النساء، الآية ٤١].
- (٤) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب الْبُكَاءِ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، حديث رقم ٤٦٦٨.

وكان سيدنا سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنه من أهل القرآن الذين قال نبينا صلى الله عليه وسلم: «خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمٍ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأَبِي بِنِ كَعْبٍ»^(١)، أَي: تَعَلَّمُوا مِنْهُمْ، وَكَانَ أَبُو حَذِيفَةَ رضي الله عنه يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ، زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَعْمَالِكُمْ، وَلَمَّا حَضَرَتْ سَيِّدُنَا عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه الْوَفَاةَ، قِيلَ لَهُ: اسْتَخْلَفْ فَقَالَ: وَإِنِّي جَاعِلٌ هَذَا الْأَمْرَ إِلَى هَؤُلَاءِ النَّفَرِ السَّتَّةِ الَّذِينَ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ، ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: لَوْ أَدْرَكَنِي أَحَدُ رَجُلَيْنِ، ثُمَّ جَعَلْتُ هَذَا الْأَمْرَ إِلَيْهِ لَوَثِقْتُ بِهِ: سَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حَذِيفَةَ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ^(٢).

ومن إكرام الله صلى الله عليه وسلم لأهل القرآن أن جعله شفيعاً لأصحابه يوم القيامة، يقول نبينا صلى الله عليه وسلم: «الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيُّ رَبِّ، مَنْعْتَهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ، فَشَفَعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنْعْتَهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ، فَشَفَعْنِي فِيهِ، قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ»^(٣)،

(١) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي، حديث رقم ٤٩٩٩.

(٢) مسند أحمد: ج ١ ص ٢٠، حديث رقم ١٢٩.

(٣) مسند أحمد: ج ٢ ص ١٧٤، حديث رقم ٦٦٢٦.

ويقول نبينا ﷺ: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ أَلْبَسَ
وَالِدَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَاجًا ضَوْؤُهُ أَحْسَنُ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ
فِي بُيُوتِ الدُّنْيَا وَكَانَتْ فِيهِ، فَمَا ظَنُّكُمْ بِالَّذِي عَمِلَ بِهِ»^(١).

على أن القرآن الكريم إما أن يكون حجة لنا أو
حجة علينا، يقول نبينا ﷺ: «وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ
عَلَيْكَ»^(٢)، فالقرآن حجة لمن أعطاه حقه تلاوة وتدبراً
وعملاً بأوامره ونواهيه والتزاماً بأخلاقه، وحجة على
من ضيعه هجرًا له أو هجرًا لأخلاقه وأوامره ونواهيه،
إذ يحتم علينا الوفاء بواجبنا تجاه هذا الكتاب وإعطائه
حقه تعلمًا وتعليمًا وفهمًا، وتأملًا وتدبرًا وعملاً.



(١) سُئِنَ أَبِي دَاوُدَ، كِتَابُ الْوَتْرِ، بَابُ فِي ثَوَابِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، حَدِيثٌ رَقْمٌ ١٤٥٥، وَالْمُسْتَدْرَكُ
عَلَى الصَّحِيحِينَ: كِتَابُ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، ذِكْرُ فَضَائِلِ سُورٍ وَأَيِّ مُتَفَرِّقَةٍ، حَدِيثٌ رَقْمٌ ٢٠٨٥.
(٢) صَحِيحُ مُسْلِمٍ، كِتَابُ الطَّهَارَةِ، بَابُ فَضْلِ الْوُضُوءِ، حَدِيثٌ رَقْمٌ ٢٢٣.



المبحث الثاني



ثلاثون حديثًا مختارة في فضائل القرآن الكريم

١ - عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا حَسَدَ إِلَّا عَلَى اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْكِتَابَ، وَقَامَ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ، وَرَجُلٌ أَعْطَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَهُوَ يَتَصَدَّقُ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ» ^(١).

٢ - وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ هُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عُقْلِهَا» ^(٢).

٣ - وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَثَلُ الْمُؤْمَنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ: كَالْأَثْرِجَةِ طَعْمُهَا

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب اغتباط صاحب القرآن حديث رقم ٤٧٣٧. وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة من فقهه أو غيره فعمل بها وعلمها، حديث رقم ٨١٥، واللفظ للبخاري.
(٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعاوده، حديث رقم ٤٧٤٦، وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب الأمر بتعهد القرآن وكراهة قول نسيت آية كذا وجواز قول أنسيتها، حديث رقم ٧٩١، واللفظ لمسلم.

طَيِّبٌ، وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَالَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ: كَالْتَّمْرَةِ
طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحَ لَهَا، وَمِثْلُ الْفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ
الْقُرْآنَ: كَمِثْلِ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ، وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمِثْلُ
الْفَاجِرِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمِثْلِ الْحُنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ،
وَلَا رِيحَ لَهَا»^(١).

٤- وَعَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ
مِنَ اللَّيْلِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَفَرَسُهُ مَرْبُوطَةٌ عِنْدَهُ، إِذْ
جَالَتِ الْفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ، فَقَرَأَ، فَجَالَتِ الْفَرَسُ،
فَسَكَتَ وَسَكَتَتِ الْفَرَسُ، ثُمَّ قَرَأَ، فَجَالَتِ الْفَرَسُ
فَانْصَرَفَ، وَكَانَ ابْنُهُ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا، فَأَشْفَقَ أَنْ تُصِيبَهُ،
فَلَمَّا اجْتَرَّهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، حَتَّى مَا يَرَاهَا، فَلَمَّا
أَصْبَحَ حَدَّثَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ، اقْرَأْ
يَا ابْنَ حُضَيْرٍ، قَالَ: فَأَشْفَقْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى،
وَكَانَ مِنْهَا قَرِيبًا، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَانْصَرَفْتُ إِلَيْهِ، فَرَفَعْتُ
رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا مِثْلُ الظِّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ الْمَصَابِيحِ،
فَخَرَجْتُ حَتَّى لَا أَرَاهَا، قَالَ: «وَتَدْرِي مَا ذَاكَ؟»، قَالَ:

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل القرآن على سائر الكلام، حديث رقم ٥٠٢٠،
وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضيلة حافظ القرآن، حديث رقم ١٨٩٦.

لَا، قَالَ: «تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ
لَأَصْبَحْتَ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا، لَا تَتَوَارَى مِنْهُمْ»^(١).

٥- وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ
لَأَبِي بِنِ كَعْبٍ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ» قَالَ
أَبِي: اللَّهُ سَمَانِي لَكَ؟ قَالَ: «اللَّهُ سَمَّاكَ لِي»، قَالَ: فَجَعَلَ
أَبِي يَبْكِي^(٢).

٦- وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم
يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مَنْ قَتَلَ أَحَدًا فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ
يَقُولُ: «أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ»، فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى
أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ، وَقَالَ: «أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وَأَمَرَ بِدَفْنِهِمْ فِي دِمَائِهِمْ، وَلَمْ يُغَسَّلُوا، وَلَمْ
يُصَلَّ عَلَيْهِمْ^(٣).

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن، حديث رقم ٤٧٣٠، وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب نزول السكينة لقراءة القرآن، حديث رقم ١٨٩٥، واللفظ للبخاري.

(٢) متفق عليه؛ صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب تفسير سورة ﴿لم يكن﴾، حديث رقم ٤٦٧٦، وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل حديث رقم ٧٩٩، واللفظ للبخاري.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهيد، حديث رقم ١٢٧٨.

٧- وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ»^(١).

٨- وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَقْرَأْ عَلَيَّ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقْرَأْ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزِلَ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: فَفَرَأْتُ سُورَةَ النَّسَاءِ حَتَّى آتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ: [فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ، وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا] ^(٢)، وَفِي رِوَايَةٍ: أَقْرَأْ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزِلَ، قَالَ: «إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي»^(٣).

٩- وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»^(٤).

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ حديث رقم ٤٩٣٧، وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل الماهر بالقرآن والذي يتتبع فيه، حديث رقم ٧٩٨.

(٢) [سورة النساء، الآية ٤١].

(٣) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظه للاستماع واليكاء عند القراءة والتدبر، حديث رقم ١٩٠٥.

(٤) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ، حديث رقم ٤٧٣٩، وسُنَنُ أَبِي دَاوُدَ: كتاب الصلاة، باب اسْتِحْبَابِ الْوُثْرِ، باب فِي ثَوَابِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، حديث رقم ١٤٥٢، وسُنَنُ التِّرْمِذِيِّ، كتاب فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، باب مَا جَاءَ فِي تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ، حديث رقم ٢٩٠٧، واللفظ للبخاري.



١٠- وعن عَمْرٍو بن الخطاب رضي الله عنه أَن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ:
«إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ»^(١).

١١- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:
«مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ
عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ،
يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ
اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ
فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا،
سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ
مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يُتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ،
إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَعَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَقَّتْ لَهُمُ
الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ،
لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبَهُ»^(٢).

(١) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة من فقهه أو غيره ففعل بها وعلمها، حديث رقم ٨١٧.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل الإجتراح على تلاوة القرآن وَعَلَى الذِّكْرِ، حديث رقم ٢٦٩٩، وصحيح ابن حبان، كتاب العلم، ذكر تسهيل الله صلى الله عليه وسلم طريق الجنة على من يسلك في الدنيا طريقًا يطلب فيه علمًا، حديث رقم ٨٤.

١٢- وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَنَحْنُ فِي الصَّنْفَةِ، فَقَالَ: « أَتَيْكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ إِلَى بَطْحَانَ - أَوِ الْعَقِيقِ - فَيَأْخُذَ نَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ بغيرِ إِيْمٍ بِاللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟ » قَالُوا: كُنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: « فَلَا نَغْدُو أَحَدَكُمْ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَيَتَعَلَّمُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَإِنْ ثَلَاثٌ فَثَلَاثٌ مِثْلُ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ » ^(١).

١٣- وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ » ^(٢).

١٤- وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ، وَرَتَّلْ كَمَا كُنْتَ تُرْتَلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرُؤُهَا » ^(٣).

(١) صحيح مسلم، كتاب الوتر، باب في ثواب قراءة القرآن في الصلاة وتعلوه، حديث رقم ١٤٥٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل الماهر في القرآن، والذي يتتعتع فيه، حديث رقم ٧٩٨.

(٣) سنن أبي داود، كتاب الصلاة - الوتر، باب استحباب الترتيل في القراءة، حديث رقم ١٤٦٤، وسنن الترمذي، أبواب فضائل القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر، حديث رقم ٢٩١٤.

١٥- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَجِيءُ
الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ حَلِّهِ، فَيُلْبَسُ تَاجَ
الْكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ زِدْهُ، فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الْكَرَامَةِ،
ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ، فَيَرْضَى عَنْهُ، فَيَقَالُ لَهُ:
اقْرَأْ وَارْقُ، وَيُزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً»^(١).

١٦- وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ
حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَلِهَا، لَا أَقُولُ: (أَلَمْ) حَرْفٌ،
وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَا مٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ»^(٢).

١٧- وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ
الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ،
وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ»^(٣).

(١) سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ، أَبْوَابُ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنَ
الْقُرْآنِ مَا لَهُ مِنَ الْأَجْرِ، حَدِيثٌ رَقْمٌ ٢٩١٥.

(٢) سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ، أَبْوَابُ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنَ
الْقُرْآنِ مَا لَهُ مِنَ الْأَجْرِ، حَدِيثٌ رَقْمٌ ٢٩١٤.

(٣) سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ، كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ فِي تَنْزِيلِ النَّاسِ مَنَازِلَهُمْ، حَدِيثٌ رَقْمٌ ٤٨٤٥.

١٨- وَعَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ الْجُهَنِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ أُبْسٌ وَالِدَاهُ تَاجِرًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَوُّهُ أَحْسَنُ مِنْ صَوِّ الشَّمْسِ فِي بُيُوتِ الدُّنْيَا لَوْ كَانَتْ فِيكُمْ، فَمَا ظَنُّكُمْ بِالَّذِي عَمِلَ بِهَذَا؟»^(١).

١٩- وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَهْلِيْنَ مِنَ النَّاسِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ»^(٢).

٢٠- وَعَنْ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَى صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرَ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ، فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَعْرِفُنِي؟، فَيَقُولُ: مَا أَعْرِفُكَ، فَيَقُولُ لَهُ: أَنَا صَاحِبُكَ الْقُرْآنَ، الَّذِي أَظْمَأْتِكَ فِي الْهَوَاجِرِ، وَأَسْهَرْتَ لَيْلِكَ، وَإِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ، وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تِجَارَةٍ، قَالَ: فَيُعْطَى الْمَلِكُ بِيَمِينِهِ، وَالْخُلْدُ بِشِمَالِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، وَيُكْسَى

(١) سُئِنَ أَبِي دَاوُدَ، كِتَابَ الْوَتْرِ، بَابِ فِي ثَوَابِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، حَدِيثٌ رَقْمُ ١٤٥٥، وَالمُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحِينَ، كِتَابُ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، ذَكَرَ فَضَائِلَ سُورٍ وَآيٍ مُتَفَرِّقَةٍ، حَدِيثٌ رَقْمُ ٢٠٨٥.
(٢) سُئِنَ ابْنَ مَاجَةَ، الْمُقَدِّمَةَ، بَابِ فَضْلِ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ، حَدِيثٌ رَقْمُ ٢١٥، وَمُسْنَدُ أَحْمَدَ ابْنِ حَنْبَلٍ، ج ٣ ص ١٢٧، حَدِيثٌ رَقْمُ ١٢٣٠١.

وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لَا تَقُومُ هَهُمَا الدُّنْيَا، فَيَقُولَانِ: بِمَ كُسِينَا هَذِهِ؟، فَيُقَالُ لَهُمَا: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَأَصْعِدْ فِي دَرَجِ الْجَنَّةِ وَغُرْفِهَا، فَهُوَ فِي صَعُودِ مَا دَامَ يَقْرَأُ هَذَا كَانَ أَوْ تَرْتِيلاً»^(١).

٢١- وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: « هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فَتُح الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزَلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبَشِّرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيْتَهُمَا لَمْ يُؤْتِيَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيْتَهُ»^(٢).

٢٢- وَعَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «يُوتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَأَلْ عِمْرَانَ»،

(١) سُنَنِ الدَّارِمِيِّ، كِتَابُ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، بَابُ فِي فَضْلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَأَلِ عِمْرَانَ، حَدِيثٌ رَقْمٌ ٣٤٣٤.

(٢) صَحِيحُ مُسْلِمٍ، كِتَابُ صَلَاةِ الْمَسَافِرِينَ، بَابُ فَضْلِ الْفَاتِحَةِ وَخَوَاتِيمِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَالْحُتِّ عَلَى قِرَاءَةِ الْآيَاتَيْنِ مِنْ آخِرِ الْبَقَرَةِ، حَدِيثٌ رَقْمٌ ٨٠٣.

وَصَرَبَ هُمَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَةَ أَهْشَالٍ مَا نَسِيْتُهُنَّ
بَعْدُ، قَالَ: «كَأْتُهُمَا عَمَاتَانِ، أَوْ ظَلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا
شَرْقٌ، أَوْ كَأْتُهُمَا حِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ، مُحَاجَّانِ عَنِ
صَاحِبَيْهِمَا»^(١).

٢٣- وعن أبي أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اقْرَأُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ
الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَأُوا الرَّهْرَاقَيْنِ الْبَقْرَةَ،
وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأْتُهُمَا
عَمَاتَانِ، أَوْ كَأْتُهُمَا عَيَاتَانِ، أَوْ كَأْتُهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ
صَوَافٍ، مُحَاجَّانِ عَنِ أَصْحَابَيْهِمَا، اقْرَأُوا سُورَةَ الْبَقْرَةِ،
فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطْلَةُ»^(٢).

٢٤- وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ
حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عَصِمَ مِنَ
الدَّجَالِ»^(٣).

- (١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، حديث رقم ٨٠٥.
(٢) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، حديث رقم ٨٠٤.
(٣) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، حديث رقم ٨٠٩.

٢٥- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
 «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَفِرُّ مِنَ الْبَيْتِ
 الَّذِي يُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ» (١).

٢٦- وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
 كَانَ يَسِيرُ فِي بَعْضِ أَصْفَارِهِ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَسِيرُ مَعَهُ
 لَيْلًا، فَسَأَلَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَنْ شَيْءٍ فَلَمْ يُجِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،
 ثُمَّ سَأَلَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ:
 تَكَلَّمْتَ أَمْ عُمَرُ، نَزَرْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، كُلَّ ذَلِكَ
 لَا يُجِيبُكَ، قَالَ عُمَرُ: فَحَرَّكَتُ بَعِيرِي ثُمَّ تَقَدَّمْتُ أَمَامَ النَّاسِ،
 وَخَشِيتُ أَنْ يُنْزَلَ فِيَّ قُرْآنٌ، فَمَا تَشَبَّتُ أَنْ سَمِعْتُ صَارِحًا
 يَصْرُخُ بِي، فَقُلْتُ: لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ نَزَلَ فِيَّ قُرْآنٌ، فَجِئْتُ
 رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «لَقَدْ أَنْزَلْتَ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ
 سُورَةَ هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، ثُمَّ قَرَأْتُ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا
 لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ (٢) (٣).

(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد، حديث رقم ٧٨٠.
 (٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، حديث رقم ٤١٧٧.
 (٣) [سورة الفتح، الآية ١].

٢٧- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ سُورَةَ فِي الْقُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ لِصَاحِبِهَا حَتَّى غُفِرَ لَهُ: وَهِيَ سُورَةُ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ»^(١).

٢٨- وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم خَطَبَ النَّاسَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم»^(٢).

٢٩- وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أَيَعِجْزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟» قَالُوا: وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ تَعْدُلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»^(٣).

٣٠- وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سِرِّيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ، فَيَحْتَمُّ بِقُلْ هُوَ اللَّهُ

(١) سنن الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة الملك، حديث رقم ٢٨٩١.
(٢) السنن الكبرى للبيهقي، كتاب آداب القاضي، باب ما ينقض به القاضي ويُغني به المفتي، حديث رقم ٢٠٣٣٦.
(٣) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، حديث رقم ٥٠١٥، وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، حديث رقم ٨١١، واللفظ لمسلم.



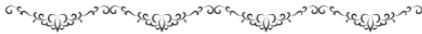
أَحَدٌ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «سَلُوهُ
لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟» فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ،
فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَفْرَأَ بِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ
يُحِبُّهُ»^(١).



(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب فَضَّلَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، حديث رقم ٧٣٧٥، وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة قل هو الله أحد، حديث رقم ٨١٣، واللفظ لمسلم.



المبحث الثالث



قالوا عن القرآن الكريم

١- ذكر أبو عمرو الداني في كتابه «البيان» بإسناده عن عثمان وابن مسعود وأبي بصير رضي الله عنهم: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرئهم العشر، فلا يجاوزونها إلى عشر أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل فيعلمنا القرآن والعمل جميعاً^(١).

وقال صلى الله عليه وسلم مخاطباً حفظة القرآن وأهله: يا معشر القراء: ارفعوا رءوسكم، فقد وضح لكم الطريق، فاستبقوا الخيرات، لا تكونوا عيالاً على الناس^(٢).

٢- وقال سيدنا عثمان بن عفان وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما: لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن^(٣).

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج ١ / ص ٣٩، ط: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية.

(٢) التبيان في آداب حملة القرآن للإمام النووي، ص ٥٤، تحقيق: محمد الحجار، ط: دار ابن حزم.

(٣) إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، كتاب آداب تلاوة القرآن، ج ١ ص ٢٧٨ ط: دار المعرفة بيروت.



٣- وقال سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إن هذه القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن ولا تشغلوها بغيره^(١).

وقال رضي الله عنه أيضاً: إذا أردتم العلم فعليكم بالقرآن، فإن فيه علم الأولين والآخرين^(٢).

وكان رضي الله عنه يقول: ينبغي لقارئ القرآن أن يُعرَف بليته إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وببكاؤه إذا الناس يضحكون، وبورعه إذا الناس يخلطون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون^(٣).

٤- وقال عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: مَنْ قرَأ القرآنَ فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لا يُوحى إليه، لا ينبغي لصاحب القرآن أن يحدث مع من حدَّ، ولا يجهل مع من جهل وفي جوفه كلام الله تعالى^(٤).

(١) غريب الحديث للقاسم بن سلام الهروي ج ٤ / ص ٣٨، ط: دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) الزهد لعبد الله بن المبارك، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، ص ٢٨٠. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، حديث رقم ٨١٤. والمعجم الكبير للطبراني، ج ٩ / ص ١٤٦، حديث رقم ٨٦٦٥.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة، كتاب الزهد، ما قالوا في البكاء من خشية الله، حديث رقم ٣٦٧٣٤، والمجالسة وجواهر العلم لأبي بكر الدينوري المالكي، ج ٥ / ص ٤٢٨، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، حديث رقم ٢٣٠٠، ط: دار ابن حزم (بيروت - لبنان).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة، كتاب فضائل القرآن، باب في فضل من قرأ القرآن، حديث رقم ٣٠٥٧٣، والمستدرک علی الصحیحین، کتاب فضائل القرآن، حديث رقم ٢٠٢٨ مرفوعاً.



٥- وقال سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه: جمع الله في هذا الكتاب علم الأولين والآخرين، وعلم ما كان وعلم ما يكون، والعلم بالخالق جل جلاله ^(١).

٦- وقال سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنه: «... وَعَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّهُ عَنْهُ تُسْأَلُونَ، وَبِهِ تُجْزَوْنَ، وَكَفَى بِهِ وَعِظًا لِمَنْ عَقِلَ» ^(٢).

٧- وقال الفضيل بن عياض رضي الله عنه: «حَامِلُ الْقُرْآنِ حَامِلٌ رَايَةَ الْإِسْلَامِ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَلْغُوَ مَعَ مَنْ يَلْغُو وَلَا أَنْ يَلْهُوَ مَعَ مَنْ يَلْهُو وَلَا يَسْهُوَ مَعَ مَنْ يَسْهُو وَيَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ إِلَى الْخَلْقِ حَاجَةٌ لَا إِلَى الْخُلَفَاءِ، فَمَنْ دُوِّمَ وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ حَوَائِجَ الْخَلْقِ إِلَيْهِ» ^(٣).

٨- وقال الوليد بن المغيرة - بعد أن سمع القرآن الكريم -: والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن

(١) جامع الأصول في أحاديث الرسول لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) حديث رقم ٦٢٣٣، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ط: مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان. كتاب الفضائل والمناقب، باب فضل القرآن مطلقاً،
(٢) شعب الإيمان للبيهقي، باب في حفظ اللسان عما لا يحتاج إليه، حديث رقم ٤٨٣٤، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض.
(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني، باب ذُكر طوائف من جواهر النُّسك والعبادة، ج ٨ / ص ٩٢، ط: دار الكتب العلمية.



أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه^(١)، والفضل ما شهدت به الأعداء.

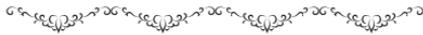
٩- وقال الإمام السيوطي رحمه الله: وإن كتابنا القرآن هو مفجر العلوم ومنبعها، ودائرة شمسها ومطلعها، أودع فيه ﷺ علم كل شيء، وأبان فيه كل هدي وغي، فترى كل ذي فن منه يستمد، وعليه يعتمد، فالفقيه يستنبط منه الأحكام ويستخرج حكم الحلال والحرام والنحوي يبني منه قواعد إعرابه^(٢).



(١) دلائل النبوة للإمام البيهقي، جماع أبواب المبعث، ج ٢ / ص ١٩٩، تحقيق الدكتور: عبد المعطي قلعجي، ط: دار الكتب العلمية - ودار الريان للتراث.
(٢) الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي، ج ١ / ص ١٨.



المبحث الرابع



سور القرآن الكريم بين الزمان والمكان: أسماء ودلالات

لا شك أن القرآن الكريم إنما هو كلام رب العالمين، معجز كله، وفي جميع جوانبه، كل شيء فيه بحكمة وحكمة، فهو كما قال الحق ﷻ: ﴿وَإِنَّهُ لَكِنْتُبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿١﴾ .

وفي هذا المبحث نحاول أن نلقي الضوء على دلالات أسماء بعض السور وما تحمله من معانٍ وإشاراتٍ في ألفاظه، في تراكيبه، في أساليبه، في معانيه، في أسماء سوره.

فمنها ما يرتبط بالزمن، تأكيداً على أهميته، وبياناً لقيمته، حيث سمى القرآن الكريم ست سور بأسماء تحمل دلالات زمنية، هي: سورة الجمعة، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ

(١) [سورة فصلت، جزء من الآية ٤١، الآية ٤٢].



ذَكَرَ اللَّهُ وَذَرُّوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾
 فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١﴾، بما تحمله هذه
 الآيات من ضرورة التوازن بين عمل الدنيا وعمل الآخرة،
 وكان سيدنا عراك بن مالك رضي الله عنه إذا صلى الجمعة انطلق
 فوقف على باب المسجد، ثم قال: اللهم إني قد أجتبى
 دعوتك، وأديت فريضتك، وانتشرت كما أمرتني، فارزقني
 من فضلك وأنت خير الرازقين ^(١).

وسورة الفجر التي يقول الحق ﷻ في مفتحها:
 ﴿وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾
 هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حَجْرِ ﴿٣﴾، فمع أن القسم استهل بوقت
 الفجر الذي سميت السورة باسمه فإنه قد تضمن وحدات
 زمنية أخرى: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾، ثم يحتتم
 القسم بقوله تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حَجْرِ﴾ أي لذي
 عقل أو لبّ يدرك معنى هذا القسم، ثم أتبع القسم بما

(١) [سورة الجمعة، الأيتان ٩، ١٠].

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، تفسير سورة الجمعة، ج ١٨ / ص ١٠٩، ط: دار عالم
 الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية.

(٣) [سورة الفجر، الآيات ١-٥].

يدعو إلى التأمل العميق في أحوال من مضى من الأمم السابقة ؛ من عاد وثمود وفرعون، فقال ﷺ: ﴿أَلَمْ نَرَكَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِذْ مَدَّ يَدَهُ لِغَمَامِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلَهَا فِي الْبَلَدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْنَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾﴾.

ويأتي بعد «سورة الفجر» من حيث ترتيب سور القرآن الكريم من السور التي سميت بأسماء ذات دلالات زمنية، «سورة الليل» التي استهلت بقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَى ﴿٥﴾ وَصَدَقَ بِالْحَسَنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيسِرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾﴾^(٢)، ثم تأتي بعدها «سورة الضحى»، مستهلة بقوله تعالى: ﴿وَالضُّحَى ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴿٣﴾﴾^(٣)، ثم «سورة القدر»، حيث يقول ﷺ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ

[١] [سورة الفجر، الآيات ٦-١٣].

[٢] [سورة الليل، الآيات ١-٧].

[٣] [سورة الضحى، الآيات ١-٣].

مِنَ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن
كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿١﴾، ثم سورة العصر،
حيث يقول الحق ﷻ: ﴿وَالْعَصْرُ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي
خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا
بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾.

ولا شك أن تسمية ست سور من سور القرآن
الكريم بأسماء أوقات أزمنة: الجمعة، والفجر، والليل،
والضحى، والقدر، والعصر، هو دليل على أهمية الزمن،
ولفت واضح للنظر إلى ضرورة استثماره الاستثمار النافع
والأمثل، حيث يقول نبينا ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَعْبُونٌ فِيهِمَا
كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»^(٣)، ويقول ﷺ: «لَا
تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا
أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَا فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ
وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ؟»^(٤).

(١) [سورة القدر، الآيات ١-٥].

(٢) [سورة العصر، الآيات ١-٣].

(٣) صحيح البخاري: كتاب الرقائق، باب ما جاء في الرقائق وَأَنْ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشَ الْآخِرَةِ،
حديث رقم ٦٤١٢.

(٤) سنن الترمذي، أبواب صفوة القيامة وَالرَّقَائِقِ وَالْوَزَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
باب في القيامة، حديث ٢٤١٦.



وإذا تحدثنا عن السور التي سميت بأسماء ذات دلالاتٍ زمنيةٍ؛ فمن المنطق أن تتبع بالسور التي سميت بأسماء ذات دلالاتٍ مكانيةٍ مما هو معروف في دنيا الناس متصل بحياتهم، وهي على الترتيب: «الحجر، والكهف، والأحقاف، والحجرات، والطور، والبلد»، ولكل دلالتها، غير أن أول ما يلفت النظر هو هذا التكافؤ الزماني المكاني، حيث إن السور التي سميت بأسماء ذات دلالاتٍ زمنيةٍ ست سور؛ وفي مقابلها ست سور أخرى مسماة بأسماء ذات دلالاتٍ مكانيةٍ؛ للتأكيد على أهمية المكان، وأهمية الجغرافيا، وهو ما جعل العلماء والفقهاء يؤكدون على أهمية مراعاة طبيعة وخصوصية الزمان والمكان، فقرروا أن الفتوى قد تتغير أو تتطلب تغييرًا باختلاف الزمان أو المكان، مراعاة لخصوصيتهما أو خصوصية أي منهما.

ثم إن لكل سورة دلالتها والعبرة المستقاة منها، وأول هذه السور في ترتيب المصحف «سورة الحجر» حيث يقول الحق ﷻ: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَعَايَنَاهُمْ عَايِنًا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنْ

الْجِبَالِ بَيُوتَاءِ آمِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْحِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا
أَعْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١﴾، وأصحاب الحجر هم قوم
سيدنا صالح ﷺ.

ثم تأتي «سورة الكهف» وتتناول أمورًا عديدة أبرزها
قصة أصحاب الكهف، هؤلاء الفتية الذين آمنوا بربهم،
حيث يقول الحق ﷻ: ﴿...إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ
وَزَدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا
رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِنَّهَا لَقَدْ قُلْنَا
إِذَا شَطَطًا ﴿٢﴾، ويقول ﷻ: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ
سِنِينَ وَأَزْدَادُوا تِسْعًا ﴿٣﴾، ونلاحظ هنا أن النص القرآني
عبر بقوله تعالى: ﴿وَأَزْدَادُوا تِسْعًا﴾، ولم يقل ﷻ: ثلاثمائة
وتسع سنين، ففرق كبير بين التعبيرين، إذ إن النص
القرآني يحمل معنى وإشارة لا يمكن أن يحملها تعبير
آخر، ذلك أن كل مائة سنة شمسية تعادل مائة وثلاث
سنوات قمرية، فهي ثلاثمائة سنة شمسية، تزداد تسعًا
بالحساب القمري.

(١) [سورة الحجر، الآيات ٨٠-٨٤].

(٢) [سورة الكهف، جزء من الآية ١٣، الآية ١٤].

(٣) [سورة الكهف، الآية ٢٥].

ثم تأتي «سورة الأحقاف» لتذكر بمصير ومآل أصحاب الأحقاف قوم عاد، حيث يقول الحق ﷻ فيها: ﴿وَأَذْكُرُ لَكُمْ عَادَ إِذْ أَنْذَرْتَهُمْ بِأَلْحَاقِفِهِمْ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ۚ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَأَفَّكُنَا عَنْ ءَاهِتِنَا فَأَيْنَا بِمَا نَعُدُّنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا أَلِمْكُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ ۚ وَلَكِنِّي أَرَىٰكُمْ قَوْمًا مَجْهُلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تَدْمِمْ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا أَلَمٌ مَسْكُونُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١﴾، إذ في ذلك متعظ لمن كان له أدنى مسحة أو تدبر في أحوال الأمم التي طغت وتجبرت وظلمت وعتت عن أمر ربها؛ فأخذها أخذ عزيز مقتدر، في سُنَّةٍ لا تتخلف في سوء عقبي الظالمين، وحسن عقبي المتقين، أفرادًا أو جماعاتٍ أو أممًا.

ثم تأتي «سورة الحجرات»، حجرات أزواج النبي ﷺ، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ

(١) [سورة الأحقاف، الآيات ٢١ - ٢٥].

أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾، بيانا لمكانة النبي ﷺ والأدب معه.

ولما ناظر أبو جعفر المنصور الإمام مالكا في مسجد رسول الله ﷺ، قال له مالك: يا أمير المؤمنين، لا ترفع صوتك في مسجد رسول الله ﷺ، فإن الله ﷻ امتدح أقواما فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (٢)، وذم آخرين فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٣)، وقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (٤)، وإن حرمة ميتا كحرمة حيا، فاستكان لها أبو جعفر (٥).

(١) [سورة الحجرات، الآيات ٤، ٥].

(٢) [سورة الحجرات، الآية ٣].

(٣) [سورة الحجرات، الآية ٤].

(٤) [سورة الحجرات، الآية ٢].

(٥) الخصائص الكبرى المسمى «كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب» للمحافظ السيوطي، باب اختصاصه ﷺ بحرمته التقديم بين يديه ورفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول، ص ٤٤٤، ط: دار الكتب العلمية - بيروت.



ثم تأتي «سورة الطور» طور سيناء، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكُنِبِ مَسْطُورٍ ۝٢ فِي رَقِيٍّ مَّنْشُورٍ ۝٣ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝٤ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝٥ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾^(١)، وتأكيدًا على قدسية هذا المكان ولفتًا للأُنظار إليه قدم القسم بالطور على غيره من المُقسَمِ به من: الكتاب المسطور، والبيت المعمور، والسقف المرفوع، والبحر المسجور، وقد استمد هذا الطور هذه المكانة من تجلي الحق ﷻ عنده لكليمه موسى ﷺ، حيث يقول ﷻ: ﴿فَلَمَّا أَتَتْهَا نُودِيَ يَمُوسَىٰ ۝١١ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٢ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ۝١٣ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ۝١٤ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ۝١٥ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ﴾^(٢)، ويقول ﷻ: ﴿فَلَمَّا أَتَتْهَا نُودِيَ مِنْ شَطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنْ

(١) [سورة الطور، الآيات ١-٨].

(٢) [سورة طه، الآيات ١١-١٦].



الشَّجَرَةَ أَنْ يَمْوِسَّ إِنْفَ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾
وَأَنْ أَلْقِي عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا نُهْزًا كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ
يُعَقِّبْ يَمْوِسَّ أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ ﴿٣١﴾،
ويقول لنا نبينا ﷺ: ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ
رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿٣٢﴾، وفي هذا كله ما يؤكد أهمية
هذه البقعة المباركة من أرض سيناء المباركة بما حباها
الله ﷻ به من خير وبركة، وهو ما يستحق منا الاهتمام
بها وبأهلها وبمقدساتها والحفاظ عليها، ويجعلنا نلتف
وبقوة خلف قواتنا المسلحة الباسلة في الدفاع عنها
وعن كل حبة رمل من ثراها الطيب الطاهر العطر،
وألَّا نسمح للإرهابيين والمتطرفين من تلويثها بغدرهم
وخيانتهم وعمالتهم وزيفهم وزيغهم وبهتانهم وضلالهم
وإضلالهم .

ثم يأتي الختام «بسورة البلد»، البلد الأمين، مكة
المكرمة، بلد الله الحرام الآمن، حيث يقول الحق ﷻ:

(١) [سورة القصص، الآيات ٣٠، ٣١].

(٢) [سورة القصص، الآية ٤٦].

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿١﴾، فالبلد مُكْرَمٌ لذاته، ولنبيه، وليبت الله الحرام، حيث يقول الحق ﷺ مخاطبًا حبيبا محمداً ﷺ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (٢).

ثم إن هذا القسم بهذا البلد الحرام ينصبُّ على حقيقة هامة يجب أن نعيها جيداً، وهي طبيعة هذه الدنيا التي بنيت على الكد والنصب والتعب، حتى قال أحد العارفين: من طلب الراحة في الدنيا طلب ما لم يخلق ومات ولم يرزق؛ لأن الله ﷻ قد قال في كتابه العزيز: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ (٣)، فالدنيا دار عمل وتعب ونصب، والعاقل من أخذ منها ما يتزود به لغده، وما يجب أن يلقي الله به؛ في توازن بين عمارة الكون والتزود للأخرة.

فإذا ما تجاوزنا دلالات الزمان والمكان وجدنا القرآن الكريم يلفت الأنظار إلى الظواهر الكونية، من الشمس،

(١) [سورة البلد، الآيات ١ - ٤].

(٢) [سورة الأنفال، الآية ٣٣].

(٣) [سورة البلد، الآية ٤].

والقمر، والنجم، والرعد، والتكوير، والانفطار، والزلزلة، والبروج، والطارق، والفلق، في تأكيد واضح على أهمية هذه الظواهر، ولفتاً للأنظار إليها، والتأمل فيها، والإفادة منها، وأخذ العبرة والعظة بما ورد في شأنها، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (١١٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا تُسَبِّحُكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (١)، ويقول ﷻ: ﴿سَرُّهُمْ ءِآيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٢).

وهكذا في سائر الدلالات ما يستحق دراسة علمية أكاديمية متخصصة وافية تجلي أسرار ودلالات هذه السور؛ بما فيها من فيض وإعجاز علمي وبلاغية وبياني، وتعطي الموضوع حقه من البحث والدرس والنظر، إذ في كل هذا ما يؤكد أن عطاء القرآن الكريم متجدد في كل

(١) [سورة آل عمران، الآيتان ١٩٠، ١٩١].

(٢) [سورة فصلت، الآية ٥٣].

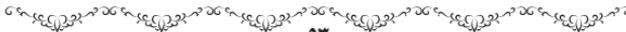


زمان ومكان، لا تنقضي عجائبه، ولا يشيع منه العلماء،
ولا يخلق عن كثرة الرد، وهذا أحد أسرار حفظه وبقائه
إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وصدق الحق ﷺ،
إذ يقول في محكم التنزيل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ
لَحَافِظُونَ﴾^(١)، وحيث يقول ﷺ: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْقِعِ
النُّجُومِ﴾^(٢) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ
لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٢﴾.



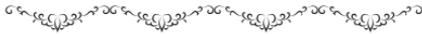
(١) [سورة الحجر، الآية ٩].

(٢) [الواقعة، الآيات ٧٥ - ٧٧].





المبحث الخامس





من مواطن الكمال والجمال المعنوي في القرآن الكريم

الكمال لله ﷻ وحده، ولكلامه، وكتابه العزيز، فهو كتاب الكمال والجمال ومحاسن الأخلاق ومكارمها، فقد تحدث هذا الكتاب العظيم عن الصبر الجميل، فقال ﷺ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾^(١)، والصبر الجميل هو الذي لا شكوى معه، وهو الذي يُوفَّى فيه الصابرون أجرهم بغير حساب، بل قد يتبعه إحسان على حد قوله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢).

وهو صبر الرضا بقضاء الله وقدره، ومنه: ما كان من التابعي الجليل عروة بن الزبير بن العوام رضي الله عنه

(١) [سورة يوسف، جزء من الآية ١٨].

(٢) [سورة آل عمران، جزء من الآية ١٣٤].



حين فقد ابنه وابتلي بقطع ساقه، فقال راضياً محتسباً:
اللهم إنك إن كنت قد ابتليت فقد عافيت، وإن كنت
قد أخذت فقد أعطيت، لقد أعطيتني أربعة من الولد
فأخذت مني واحداً وأبقيت لي ثلاثة، وأعطيتني أربعة
أطراف فأخذت مني واحداً وأبقيت لي ثلاثة، ودخل
عليه إبراهيم بن محمد بن طلحة، قائلاً: أبشريا
أبا عبد الله، فقد سبقك ابن من أبنائك وعضو من
أعضائك إلى الجنة، فقال عروة رضي الله عنه: ما عزاني أحد
بأحسن مما عزيتني به ^(١).

وتحدث القرآن الكريم عن الصَّفْحِ الجميل، حيث
يقول تعالى لنبينا ﷺ: ﴿فَاَصْفَحْ اَصْفَحَ الْجَمِيلِ﴾ ^(٢)، وهو
الذي لا مَنْ معه، وهو ما كان من رسول الله ﷺ يوم
فتح مكة، حيث قال لهم: «اذهبوا فأنتم الطلقاء» ^(٣)،
وما كان منه ﷺ عندما سلط عليه أهل الطائف
عيدهم وصبيانهم يرمونهم بالحجارة حتى سال الدم

(١) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي عباس بن أبي بكر بن خلكان المتوفى ٦٨١ هـ، ج ٣، ص ٢٢٤، ط: دار الكتاب العلمية بيروت.

(٢) [سورة الحجر، جزء من الآية ٨٥].

(٣) الشُّنن الكبرى للبيهقي، كتاب السير، باب فَتْحِ مَكَّةَ حَرَسَهَا اللهُ تَعَالَى، حديث رقم ١٨٧٣٩.

من قدميه الشريفتين، وأرسل الله ﷻ إليه ملك الجبال يناديه: يا محمد لو شئت لأطبقنَّ عليهم الأخشبين، فقال النبي ﷺ: «لا، ولكني أقول: اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون، إني لأرجو أن يخرج من أصلابهم من يقول: لا إله إلا الله»، وهنا قال له جبريل ﷺ: صدق من سماك الرؤوف الرحيم^(١).

وتحدث القرآن الكريم عن الهجر الجميل حتى مع الأعداء، حيث يقول ﷺ: ﴿وَأَصْرٌ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَأَهْرُجُهُمْ هَاجِرًا جَمِيلًا﴾^(٢)، والهجر الجميل هو الذي لا أذى معه، وليس فيه لدد أو فجور في الخصومة، وهو أحد جوانب ساحة الإسلام، أما اللدد في الخصومة فمن علامات النفاق، حيث يقول نبينا ﷺ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»^(٣).

(١) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين. لمحمد بن عفيفي الباجوري، المعروف بالشيخ الحضري (المتوفى: ١٣٤٥هـ) ص ٦١، ط: دار الفحاء - دمشق. الطبعة: الثانية - ١٤٢٥ هـ.

(٢) [سورة الزمل، الآية ١٠].

(٣) متفق عليه: صحيح البخاري: كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، حديث رقم ٣٤، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق حديث رقم ٢١٩.

وتحدث القرآن الكريم عن السّراح الجميل، وهو الذي لا عضل فيه للمرأة، ولا ظلم لها، ولا هضم لحقوقها، حيث يقول ﷺ: ﴿وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾^(١). ويقول ﷺ: ﴿فَأَمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ﴾^(٢)، فينبغي على كلا الزوجين أن يتذكرا ما كان بينهما من فضل ومن حياة تستدعي حفظ العهد لا الانتقام ولا التشفي ولا العضل، يقول الحق ﷻ: ﴿وَلَا تَنسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾^(٣).

ولو طبقنا هذه القيم بين الزوجين ما وجدنا هذا الكم الهائل من القضايا والمشاكل الأسرية.

وتحدث القرآن الكريم - أيضًا - عن الخلق العظيم في وصف سيدنا محمد ﷺ، فقال ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٤)، حيث كان نبينا ﷺ يصل من قطعه، ويعطي من حرمه، ويعفو عمن ظلمه، ويحسن إلى من أساء إليه.

(١) [سورة الأحزاب، جزء من الآية ٤٩].

(٢) [سورة البقرة، جزء من الآية ٢٢٩].

(٣) [سورة البقرة، جزء من الآية ٢٣٧].

(٤) [سورة القلم، الآية ٤].



وتحدث القرآن الكريم عن القول الحسن الجميل لكل الناس في قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾^(١)، سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين، موحدين أم غير موحدين، بل طالبنا القرآن الكريم أن نقول ما هو أحسن لا ما هو حسن فحسب، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٢)، كما أن الحديث بالتالي هي أحسن نعمة ومِنَّة وهداية وتوفيق من الله ﷻ، حيث يقول ﷻ: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾^(٣).

كما جعل القرآن الكريم الكلمة الطيبة من صفات المؤمنين، حيث يقول ﷻ: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾^(٤)، فقد فسر كثير من أهل العلم ذلك بقولهم: الكلمة الطيبة للرجل الطيب وللمرأة الطيبة، فالطيب لا يقول إلا طيبًا، وهذا فضل من الله تعالى

(١) [سورة البقرة، جزء من الآية ٨٣].

(٢) [سورة الإسراء، جزء من الآية ٥٣].

(٣) [سورة الحج، الآية ٢٤].

(٤) [سورة النور، جزء من الآية ٢٦].



وُمَّتَّةً، وقد كان الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - دائماً ما يتخيرون الألفاظ والكلمات الطيبة، حيث مرَّ سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه على قوم يوقدون النار بالليل، فقال: «السلام عليكم يا أهل الضوء»^(١)، ولم ينادهم رضي الله عنه بأهل النار كراهية إدخالهم تحت لفظ أهل النار ولو شكلاً، كما جعل الإسلام الكلمة الطيبة سبيلاً إلى الصلح بين الناس، حيث يقول الحق صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٢).

كما تحدث القرآن الكريم عن الدفع الحسن الجميل، وهو مقابلة السيئة بالحسنة، وليس مقابلتها بالسيئة، فمنزلة الصفح والعفو منزلة عظيمة وعالية، فقال صلى الله عليه وسلم:
﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ تُولِي جَنبًا﴾^(٣) وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا

(١) مفاتيح الجنان ليعقوب بن سيد علي البروسوي (المتوفى: ٩٣١هـ) في شرح شريعة الإسلام لمحمد بن أبي بكر المعروف بامام زاده الخنفي (المتوفى: ٥٧٣هـ)، ص ٤١٨، ط: كتاب ناشرون، بيروت.
(٢) [سورة النساء، الآية ١١٤].



الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا أَذْوَحَ عَظِيمٍ ﴿١١﴾، ويقول ﷺ:
﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ
الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا﴾ ﴿١٢﴾.

وتحدث القرآن الكريم عن اللباس الجميل، فقال ﷺ:
﴿وَلِبَاسُ الْقَوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ ﴿١٣﴾.

ويقول الشاعر^(٤):

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يُدْنَسْ مِنَ اللُّؤْمِ عَرْضُهُ فَكُلُّ رِدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلٌ
فَنَحْنُ كَمَاءِ الْمُرْنِ مَا فِي نِصَابِنَا كَهَامٌ وَلَا فِينَا يُعَدُّ بَخِيلٌ
وَمَا أَعْمَدَتْ نَارًا لَنَا دُونَ طَارِقٍ وَلَا دَمْنَا فِي النَّازِلِينَ نَزِيلٌ^(٥)

(١) [سورة فصلت، الآيات ٣٤، ٣٥].

(٢) [سورة الفرقان، الآية ٦٣].

(٣) [سورة الأعراف، جزء من الآية ٢٦].

(٤) وهو: السموأل بن غريض بن عادياء بن رفاعة بن الحارث الأزدي. شاعر جاهلي يهودي عربي، ذو بيان وبلاغة، كان واحدًا من أكثر الشعراء شهرة في وقته، وكان يملك حصنًا في شمال الجزيرة. وقد ضرب بالسموأل المثل في الوفاء لإسلامه ابنه للقتل على أن يُفَرِّط في دروع أودعها أمانة، في خير طويل، وقصة مشهورة، تُطَوَّى في قولهم: إن امرأ القيس صاحب (قِفَا نَبِك) استودع السموأل دروعا، كانت ملوك كندة يتوارثونها ملكًا عن ملك، فطلبها ملك الحيرة الحارث بن أبي شمر الغساني وألح في تطلّابها، فلما حُجِبَتْ عنه سار إلى السموأل فلما دَعَم الجيش السموأل أغلق الحصن دون من دَعَمه، فأخذ له ابن كان خارج الحصن في مُتَّصِدٍ له، فخير الحارث السموأل بين دَفْعِ الدروع التي في جزئه وقتل ابنه، فاختر السموأل الوفاء بالذمة.

(٥) أبيات من ديوان السموأل.

كما تحدث القرآن الكريم عن الوجه الحميل، فقال ﷺ: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ صَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ (١)، وقال ﷺ: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ (٢)، ويقول نبينا ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» (٣)، فالعبرة بالمخبر والجوهر وليس بالشكل والمظهر، ولما مرَّ رجل من فقراء المسلمين على رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟». قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يَنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ، قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فَفَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يَنْكَحَ وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْتَمَعَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا» (٤)، ويقول ﷺ: «كَمْ مِنْ أَشْعَثِ أَغْبَرَ ذِي طُمْرَيْنِ، لَا يُؤْبَهُ لَهُ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ، مِنْهُمْ الْبِرَاءُ بِنِ مَالِكٍ» (٥).

(١) [سورة عبس، الآيتان ٣٨، ٣٩].

(٢) [سورة المطففين، الآية ٢٤].

(٣) صحيح مسلم، كتاب البرِّ وَالصَّلَاةِ وَالْأَدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ، وَخَذْلِهِ، وَاحْتِقَارِهِ، وَذَمِّهِ، وَعِزِّضِهِ، وَمَالِهِ، حديث رقم ٢٥٦٤.

(٤) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الأكلفاء في الدين، حديث رقم ٥٠٩١.

(٥) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب البراء بن مالك ﷺ حديث رقم ٣٨٥٤.



وتحدث القرآن الكريم عن العيشة الجميلة الطيبة
عيشة أهل الجنة، فقال ﷺ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِمِيزِينَةٍ
فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُ وَأَكْنِيبَةٌ ﴿١١﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْتَقٍ حِسَابِيَّةٍ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ
فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿١١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾
كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿١﴾، والمعيشة
أمر معنوي، والأصل أن تكون مرضية راضياً عنها
صاحبها، لكن القرآن الكريم عبّر باسم الفاعل (راضية)
ولم يعبر باسم المفعول (مرضية) تأكيداً على منتهى الرضا
لأصحاب هذه المعيشة عنها، حتى أن العيشة نفسها
صارت راضية عن أصحابها، وكيف لا! وهو في جنة
عالية، قطوفها دانية.

كما تحدث القرآن الكريم عما يوصل لهذه المعيشة
الجميلة من خلال السعي الجميل المشكور، فقال ﷺ:
﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ
كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿٢١﴾﴾.

(١) [سورة الحاقة، الآيات ١٩-٢٤].

(٢) [سورة الإسراء، الآية ١٩].

وتحدث القرآن الكريم عن الجزاء الحسن الجميل، فقال ﷺ: ﴿وَجَزَاءُ مَا صَبَرُوا جَنَّةٌ وَحَرِيرًا﴾^(١).

وتحدث عن التحية الجميلة، فقال ﷺ: ﴿وَإِذَا حُيِّئْتُمْ بِنَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾^(٢)، والتحية الجميلة هي القول الجميل، هي تحية الإسلام، التي هي السلام، فالإسلام دين السلام، ونبينا ﷺ نبي السلام، وتحيتنا السلام، وتحية أهل الجنة السلام، قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾^(٣)، وقال ﷺ: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾^(٤)، فهذه هي تحية الإسلام، ويجب أن نرد بمثلها أو بأحسن منها، ولا نكون ممن يبتغون الدنيا بعمل الآخرة؛ تحكمهم المصالح الدنيوية فيفرقون في ردّ السلام بين أناس وآخرين.

(١) [سورة الإنسان، الآية ١٢].

(٢) [سورة النساء، الآية ٨٦].

(٣) [سورة الأحزاب، جزء من الآية ٤٤].

(٤) [سورة الرعد، جزء من الآية ٢٣، الآية ٢٤].

يقول القائل:

يُحْيِي النَّاسُ كُلَّ غَنِيٍّ قَوْمٍ وَيُبْخَلُ بِالسَّلَامِ عَلَى الْفَقِيرِ
ويوسع لُغْنِيَّ إِذَا رَأَوْهُ وَيُحْبِي بِالتَّحِيَّةِ كَالْأَمِيرِ^(١)

كما أنه ينبغي رد السلام بالتي هي أحسن، بل إن الإنسان لو قصد من خلال السلام جبر خاطر الفقير أو المسكين كان الثواب أعلى وأعظم، قَالَ ابْنُ عَمَرَ رضي الله عنه: «الْبِرُّ شَيْءٌ هَيِّنٌ، وَجَهٌ طَلِيقٌ، وَكَلَامٌ لَيْنٌ»^(٢)، ويقول نبينا صلى الله عليه وسلم: «لَا تَحْجَرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلِيقٍ»^(٣).

يقول القائل:

وإذا طلبت إلى كريم حاجة فَلِقَاؤُهُ يَكْفِيكَ وَالتَّسْلِيمُ^(٤)

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور، ج ٣ / ص ١٥٨ ط: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ، ونسبة لأبي العباس ثعلب.

(٢) شعب الإيمان للبيهقي، السابع والخمسون من شعب الإيمان، باب في حسن الخلق، حديث رقم ٧٧٠٢. وأدب الدنيا والدين للماوردي، ص ٢٠١ ونسبه لسفيان بن عيينة.

(٣) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب اسْتِحْبَابِ طَلَاقَةِ الْوَجْهِ عِنْدَ الْلِقَاءِ، حديث رقم ٦٨٥٧.

(٤) الفصول المفيدة في الواو المزیة لصلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيلكدي بن عبدالله العلائي الدمشقي الشافعي، ص ٢١٢، تحقيق: د. حسن موسى الشاعر ط: دار البشير - عمان.

وتحدث القرآن الكريم عن «العطاء الجميل» الذي لا مَنْ فِيهِ وَلَا أَدَى مَعَهُ، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مِنْهَا وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١)، حيث شرط القرآن الكريم عدم المَنَّ والأذى لقبول الصدقة .

ويقول ﷺ: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَدَى وَاللَّهُ عَنِّي حَلِيمٌ﴾^(٢)، ويقول ﷺ: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُتْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾^(٣) وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا تَقَصَّتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ قَطُّ، وَمَا مَدَّ عَبْدٌ يَدَهُ بِصَدَقَةٍ إِلَّا أَلْقَيْتَ بِيَدِ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَقَعَ فِي يَدِ السَّائِلِ، وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ لَهُ عَنْهَا غِنَى إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ»^(٤).

(١) [سورة البقرة، الآية ٢٦٦].

(٢) [سورة البقرة، الآية ٢٦٣].

(٣) [سورة آل عمران، الآية ٩٢].

(٤) المعجم الكبير للطبراني، ج ١٠، ص ٩٨، حديث رقم ١١٩٨٢، وكتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام (المتوفى: ٢٢٤ هـ)، عن أبي هريرة وابن مسعود، كتاب الصدقة وأحكامها، باب فضائل الصدقة والثواب في إعطائها، حديث رقم ٩٠٠، ٩٠١، ط: دار الكتب العلمية بيروت.

وجاءت عجوز إلى الإمام الليث بن سعد رضي الله عنه تطلب كأساً من العسل، فقال: أعطوها زقا (وعاء كبيراً) فقالوا: يا إمام إنما طلبت كأساً، فقال: هي طلبت على قدر حاجتها ونحن نعطي على قدر نعم الله صلى الله عليه وسلم علينا^(١).

وقد بين الحق صلى الله عليه وسلم هذا المعنى في كتابه الكريم حيث قال: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾^(٢)، فنسب صلى الله عليه وسلم الإخراج إلى نفسه تعالى، يقول صلى الله عليه وسلم: ﴿أَفْرَيْتُمْ مَا مَحْرُوثٌ﴾^(٣) ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ ۗ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾^(٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلَمْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾^(٥) إِنَّا لَمَعْرُومُونَ﴾^(٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾^(٧) أَفْرَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾^(٨) ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾^(٩) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أَمْجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾^(١٠).

والقرآن الكريم ربط زيادة النعم بشكرها، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^(١١)، وشكر النعمة يكون

(١) تاريخ دمشق لابن عساکر، ج ٢٧، ص ٥٧٩.

(٢) [سورة البقرة، جزء من الآية ٢٦٧].

(٣) [سورة الواقعة، الآيات ٦٣ - ٧٠].

(٤) [سورة إبراهيم، الآية ٧].



من جنسها، فشكر المال يكون بالإنفاق وبإخراج حق الله تعالى فيه، فيعطي مما أعطاه الله له عطاءً جميلاً، ولا يتعمد الخبيث من المال (الرديء من الطعام، أو البالي من الثياب) فيتصدق به، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفِيرٌ حَكِيمٌ﴾^(١)، فينبغي على المعطي أن يضع نفسه مكان المتصدق عليه، فإن من حكمة الله تعالى أن جعل بعض الناس متصدقين وبعضهم آخذين، وهو القادر ﷻ أن يقلب الأحوال متى شاء؛ فيجعل الآخذ معطياً والمعطي آخذاً، فيوم لك ويوم عليك، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوُلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾^(٢).

ولله در القائل:

الناس للناس ما دام الوفاء بهم والعسر واليسر أوقات وساعاتُ
وأكرم الناس ما بين الورى رجلٌ تقضى على يده للناس حاجاتُ
لا تقطن يد المعروف عن أحد ما دمت تقدر الأيام تاراتُ

(١) [سورة البقرة، جزء من الآية ٢٦٧].

(٢) [سورة آل عمران، جزء من الآية ١٤٠].

واذكر صنيعه فضل الله إذ جعلت إليك لا لك عند الناس حاجات
قد مات قوم وما ماتت فضائلهم وعاش قوم وهم في الناس أموات

ويقول نبينا ﷺ: «ثَلَاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ، قَالَ: مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلَا ظَلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ عِزًّا، وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ»^(١)،
فالمِنَّةُ والفضل من الله تعالى وحده .

على أن العطاء والإنفاق ينبغي أن يكون لوجه الله تعالى، يقول ﷺ: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَمَلَتْ يَدَهُ إِلَى الْكُفْرِ وَالنِّيبِ وَالنَّيِّبِ وَعَاقَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾^(٢)،
قال بعض أهل العلم: (عَلَى حُبِّهِ) أي على حبه للمال وتمسكه به إلا أنه أثر ما عند الله تعالى على ما عند

(١) سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ، كِتَابُ الزَّهْدِ، بَابُ مَا جَاءَ مِثْلَ الدُّنْيَا مِثْلَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ، حَدِيثٌ رَقْمُهُ ٢٣٢٥ .

(٢) [سُورَةُ الْبَقَرَةِ، جُزْءٌ مِنَ الْآيَةِ ١٧٧] .



نفسه، يقول ﷺ: ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ (١)، وقال بعضهم: الضمير في (حبه) يعود على الله ﷻ، أي أعطى المال لليتامى والمساكين وابن السبيل حباً في الله تعالى وابتغاء مرضاته، قال ﷺ: ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَيْهٍ وَسَكِينًا وَيَنَامُوا أَسِيرًا ﴾ (٨) إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا (١٠) فَوَقَّهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَصْرَةً وَسُرُورًا (١١) وَجَزَّئِهِمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢)، ويقول ﷺ: ﴿ هَتَأْتُمْ هَتُّؤًا تَدْعُونَ لِنُفْسِيقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴾ (٣).

وتحدث القرآن الكريم عن «اللقاء الجميل» عندما تتلقى ملائكة الرحمن عباد الله المخلصين، حيث يقول ﷺ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ (١٠) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا

(١) [سورة النحل، جزء من الآية ٩٦].

(٢) [سورة الإسنان، الآيات ٨ - ١٢].

(٣) [سورة محمد، الآية ٣٨].

أَشْتَهتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَعُ
الْأَكْبَرُ وَنَنَلَقْنَهُمُ الْمَلَائِكَةَ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي
كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٤﴾.

وتحدث القرآن الكريم عن «الخاتمة الجميلة»، خاتمة أهل الاستقامة، حيث يقول ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾^(٤)، تنزل عليهم لحظة الاحتضار، مع أن نزول الملائكة ﷺ يكون للأنبياء والمرسلين عليهم والسلام، لكن هذه الآية الكريمة تحدثت عن نزول الملائكة على أهل الاستقامة وعباد الله المخلصين مطمئنة لهم، تقول للعبد الصالح: «لا تخف يا عبد الله ولا تحزن، وأبشر بالجنة التي كنت توعده، انظر إلى مقعدك في النار قد أبدلك الله به مقعداً في الجنة، لا تحزن على ما تركت من الأهل والأولاد؛ فهم في كنف الله ورعايته وأمنه، ولا تخف من الآتي؛ فأنت في عفو الله وستره وعطائه وفيض كرمه، وهو وليك

(٤) [سورة الأنبياء، الآيات ١٠١-١٠٣].

(٥) [سورة فصلت، الآية ٣٠].

في الدنيا والآخرة»، فَمَمَّ تخاف إذا كان الله تعالى هو
 وليُّك ووليُّ أهلِكَ في الدنيا والآخرة؟، يقول تعالى:
 ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ
 فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾
 نَزْلًا مِّنْ عَفْوَِرٍ رَّحِيمٍ ﴿١﴾.

ومن الختام الجميل: تثبيت الله لعباده المؤمنين،
 والختام لهم بخاتمة السعادة، حيث يقول ﷺ: ﴿يُثَبِّتُ
 اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
 الْآخِرَةِ﴾^(٢)، قال بعض أهل العلم: يثبتهم بالقول
 الثابت وبالطمأنينة في الدنيا وعند سؤال القبر، ويقول
 نبينا ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ،
 «فَسَأَلَهُ رَجُلٌ مِّنَ الْقَوْمِ: مَا اسْتَعْمَلَهُ؟ قَالَ: «يَهْدِيهِ
 اللَّهُ ﷻ إِلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ قَبْلَ مَوْتِهِ، ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَى
 ذَلِكَ»^(٣)، وكان رسول الله ﷺ دائمًا ما يسأل ربه حسن
 الخاتمة، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُكثِرُ أَنْ يَقُولَ:

(١) [سورة فصلت، الآيات ٣١، ٣٢].

(٢) [سورة إبراهيم، جزء من الآية ٢٧].

(٣) مسند أحمد، ج ٢٨ / ص ٤٥٢، حديث رقم ١٧٢١٧.

«يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ، ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ وَطَاعَتِكَ»،
 فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّكَ تُكْثِرُ أَنْ تَقُولَ: «يَا
 مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ، ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ وَطَاعَتِكَ»، قَالَ:
 «وَمَا يُؤْمِنِي، وَإِنَّمَا قُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ أَصْبَعِي الرَّحْمَنِ،
 إِنَّهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُقَلِّبَ قَلْبَ عَبْدٍ قَلْبَهُ»، قَالَ عَفَّانُ: «يَنْ
 أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ ﷺ»^(١)، وقالوا: من قُبِضَ عَلَى
 شَيْءٍ بَعَثَ عَلَيْهِ، لَا سِيَّمَا الشَّهَدَاءَ، حَيْثُ يَقُولُ نَبِينَا ﷺ:
 «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُكَلِّمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - وَاللَّهِ
 أَعْلَمُ بِمَنْ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِهِ - إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّوْنُ
 لَوْنِ الدَّمِّ وَالرَّيْحُ رِيحُ الْمَسْكِ»^(٢)، وما أحسنها وأجملها
 من خاتمة!.



(١) مسند أحمد، جزء رقم ٤٣، ص ٢٣٠، حديث رقم: ٢٦١٣٣.

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب مَنْ يُجْرَحُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷺ، حديث رقم ٢٨٠٣، وصحيح مسلم، كتاب الإمامة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، حديث رقم ١٨٦٧.



جمال الأدب مع الله تعالى في القرآن الكريم

ما أجمل الأدب مع الله تعالى!، وما أجمل الأدب مع سيدنا رسول الله ﷺ!، وما أجمل الأدب مع الخلق!، والقرآن الكريم مليءٌ بمواطن الأدب مع الله تعالى، والأدب مع سيدنا رسول الله ﷺ، والأدب مع الخلق، ومن النماذج السامية في الأدب مع الله ﷻ في القرآن الكريم: ما كان من سيدنا عيسى عليه السلام، حيث يقول ﷺ: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾^(١)، فلم يقل سيدنا عيسى عليه السلام: لم أقله، وإنما قال: ﴿سُبْحٰنَكَ﴾، تنزيهاً لله تعالى، ﴿مَا يَكُونُ لِيَ أَن أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ لِي إِن كُنْتُ قُلْتُهُ، فَقَدْ عَلِمْتَهُ، تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُهُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾^(١١٦)

(١) [سورة المائدة، جزء من الآية ١١٦].

مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١﴾، إن كانوا قد غيروا وبدلوا من بعدي فيما بلغتهم؛ فأمرهم إليك، وأنت أعلم بهم، ﴿٢﴾ وَإِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾، وهذا من كمال الأدب في الخطاب مع الله تعالى.

وكذلك من الأدب الرفيع مع الله تعالى ما كان من قول سيدنا إبراهيم عليه السلام، حيث يقول عليه السلام عنه على لسانه: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ ﴿٣﴾، فنسب عملية الخلق إلى الخالق عليه السلام، ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ ﴿٤﴾، فنسب عملية الرزق إلى الله تعالى، ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ ﴿٥﴾، فلم ينسب ما أصابه من مرض إلى الله عليه السلام تأدباً مع الله تعالى، مع أن الصحة والمرض بيد الله تعالى وحده، إلا أن أبا الأنبياء عليه السلام تأدباً مع الله تعالى

(١) [سورة المائدة، الجزء من الآية ١١٦، الآية ١١٧].

(٢) [سورة المائدة، الآية ١١٨].

(٣) [سورة الشعراء، الآية ٧٨].

(٤) [سورة الشعراء، الآية ٧٩].

(٥) [سورة الشعراء، الآية ٨٠].



لم ينسبها إليه، ونسب الجوانب الحسنة إلى الله ﷻ، ولما جاء إلى الحديث عن المرض قال: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ﴾، ولم يقل وإذا أمرضني تأدباً مع الله ﷻ.

كما أن الجن عرفت الأدب مع الله تعالى، حيث قالوا: ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشْرًا أُرِيدُ يَمَنُ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾^(١)، فنسبوا الرشد والصلاح إلى الله ﷻ، ﴿أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾، ولم ينسبوا الشر إليه ﷻ، حيث قالوا: ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشْرًا أُرِيدُ يَمَنُ فِي الْأَرْضِ﴾، بالبناء للمجهول، تأدباً مع الله تعالى.

كما ذكر القرآن الكريم تأدب الخضر ﷺ مع الله تعالى في قصة السفينة والغلام، حيث قال ﷻ: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾^(٢)، فنسب عيب السفينة لنفسه، وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْعُلَمَاءُ فَكَانَ أَبْوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾^(٣)

(١) [سورة الجن، الآية ١٠].

(٢) [سورة الكهف، جزء من الآية ٧٩].

فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا ﴿١﴾، نسب
عملية الاجتهاد في قتل الغلام إلى نفسه، أما قوله تعالى:
﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ،
كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا
وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ
تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ ﴿٢﴾، فنسب الخير والرحمة إلى
الله تعالى، وهذا من كمال الأدب مع الله ﷻ .

ومن الأدب السامي ما كان من سيدنا أيوب عليه السلام مع
الله تعالى، حينما مسه الضر، فقال ﷻ: ﴿وَأَيُّوبُ إِذْ نَادَى
رَبَّهُ أَيُّ مَسَّنِي الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ﴿٣﴾ لم يقل اشفني
وكانه يقول: يكفيني يا رب علمك بحالي، ﴿وَأَنْتَ
أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ .

ويقول ﷻ: «خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ وَخَيْرُ مَا
قُلْتُ أَنَا وَالتَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ
لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

(١) [سورة الكهف، الآيات ٨٠، ٨١].

(٢) [سورة الكهف، الآية ٨٢].

(٣) [سورة الأنبياء، الآية ٨٣].

قَدِيرٌ»^(١)، وقد سئل سفيان بن عيينة عن أفضل الدعاء يوم عرفّة، فقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير»، ف قيل له: هذا ثناء وليس بدعاء، فقال: يقول الله ﷻ في الحديث القدسي: «مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ عَنْ ذِكْرِي وَمَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِيَ السَّائِلِينَ»^(٢)، ثم ذكر قول أمية ابن أبي الصلت^(٣):

أذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك إن شيمتك الحياء
وعلمك بالحقوق وأنت فرع لك النسب المعلى والثناء
إذا أثنى عليك المرء يوماً كفاه من تعرضه الثناء
فإذا كان هذا مع الخلق، فكيف بأكرم الأكرمين ورب
العالمين وخالق الخلق أجمعين؟ لا كما فعل قارون حين
قال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾^(٤)، فكانت النتيجة

(١) سُئِنَ الترمذي، كتاب الدعوات، باب في دُعَاءِ يَوْمِ عَرَفَةَ، حديث رقم ٣٩٣٤.

(٢) سُئِنَ الترمذي، فضائل القرآن، باب من شغله القرآن وذكرى عن مسألتي، حديث رقم ٢٩٢٦.

(٣) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار للزخشي ج ٤/ ص ٣٨٧، ط مؤسسة الأعلمي، بيروت. الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.

(٤) [سورة القصص، جزء من الآية ٧٨].



﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾^(١)، وسئل أحدهم عن السيئة التي لا تنفع معها حسنة؟ فقال: الكبر^(٢).

تواضع تكن كالنجم لاح لناظره على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تكن كالدخان يعلو بنفسه إلى طبقات الجو وهو وضع
ويقول الآخر^(٣):

ولا تمش فوق الأرض إلا تواضعاً فكم تحتها قوم هم منك أرفع
فإن كنت في عزٍّ وخيرٍ ومنعةٍ فكم مات من قوم هم منك أوضع

فإذا كانت مراعاة الأدب مع الخلق واجبة، فما بالناس بالأدب مع الخالق، فنحن في حاجة ماسة للأدب مع الله ﷻ، والأدب مع سيدنا رسول الله ﷺ، وأن نتأدب مع كتاب الله تعالى، فحسن الأدب مع الله ﷻ هو أحد أهم مفاتيح الفرج، فما أجمل الأدب، وما أجمل الأدب مع رسول الله ﷺ، وما أجمل الأدب من الخلق!، قَبَّحَ اللهُ من لا أدب له.



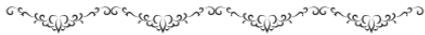
(١) [سورة القصص، جزء من الآية ٨١].

(٢) إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي (المتوفى ٥٠٥ هـ) ج ٣/ ص ٣٣٩.

(٣) روضة العقلاء للحافظ أبي حاتم البستي، صاحب صحيح ابن حبان، ص ٦١.



المبحث السادس





من مواطن الكمال والجمال اللغوي في القرآن الكريم

أولاً: بلاغة المفردة القرآنية:

تتميز لغة القرآن الكريم بأن كل لفظة أو مفردة من مفرداتها قد وقعت موقعها، حيث يقتضي المقام ذكرها دون سواها أو مرادفها، فإذا جاءت الكلمة معرفة أو نكرة كان لاقتضاء المقام ذلك، وإذا جاءت مفردة أو جمعاً كان ذلك لغرض يقتضيه السياق، وقد يُؤثِّرُ النص القرآني كلمة على أخرى وهما بمعنى واحد، ويختار كلمة ويترك مرادفها الذي يشترك معها في أصل الدلالة، وما كان للمتروك أن يقوم مقام المذكور أو يدانيه بلاغة لو ذكر مكانه، ومن نماذج ذلك:

١- كلمة ﴿إِصْلَاحٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ
الَّذِينَ آمَنُوا وَآلِهِمْ قُلُوبُهُمْ مُصَاحِبِيكُمْ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ

وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ
إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١﴾.

فلو تأملنا هذه الآية جيداً، ونظرنا - على وجه
التحديد - في موقع كلمة ﴿إِصْلَاحٌ﴾، ثم فكرنا في
بدائلها اللغوية ومشتقاتها وما يرادفها، وحاولنا أن نضع
أي بديل لغوي - رأسياً أو أفقياً - في موضعها لوجدنا
أن العربية على عمقها واتساعها عاجزة عن أن توافينا
أو تمدنا بكلمة يمكن أن تقوم مقام كلمة ﴿إِصْلَاحٌ﴾ في
هذا الموضع .

فالإصلاح أمر جامع لما يحتاج إليه اليتيم، فقد
يحتاج إلى المال فيكون الإصلاح برّاً وعطاءً مادياً، وقد
يحتاج إلى من يتاجر له في ماله أو من يقوم على زراعته
أو صناعته فيكون الإصلاح هو القيام بذلك، وقد لا
يحتاج اليتيم إلى المال، إنما يحتاج إلى التقويم والتربية،
فيكون الإصلاح هنا رعاية وتربية، وقد لا ينقصه هذا
ولا ذاك، إنما تكون حاجته أشد ما تكون إلى العطف

(١) [سورة البقرة، الآية ٢٢٠].

والحنو والإحساس بالأبوة، فيكون الإصلاح إشباع ذلك عنده، وقد يكون الإصلاح في تقويم زيغه أو اعوجاجه، فعن جابر، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مِمَّا أَضْرَبُ مِنْهُ يَتِيمِي؟ قَالَ: «مِمَّا كُنْتَ ضَارِبًا مِنْهُ وَلَدَكَ غَيْرَ وَاقٍ مَالِكَ بِإِلَهٍ»^(١)، فالنبي ﷺ يطلب من السائل أن يعامل اليتيم معاملة ولده، فينظر إلى ما يصلحه ويقوّمه ويشد عضده، ومن هنا تلتقي البلاغة النبوية في إنجازها ووفائها بالمراد مع النص القرآني، وإن كان الحديث النبوي قد ركز على جانب واحد من جوانب الإصلاح، وهو التأديب والتقويم، فإن الإصلاح في النص القرآني هو الكلمة الجامعة لما يحتاج إليه اليتيم وما يصلحه.

٢ - كلمة ﴿حَنِيدٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ﴾^(٢).

قوله تعالى: ﴿فَمَا لَبِثَ﴾ يفيد اعتناء إبراهيم عليه السلام بضيوفه وإسراعه في إعداد الطعام وتقديمه لهم، وقوله

(١) شعب الإيمان للبيهقي، باب في الأمانات، حديث رقم ٤٨٨٢.

(٢) [سورة هود، جزء من الآية ٦٩].

تعالى: ﴿جَاءَ بِعَجَلٍ﴾ مع أن ضيوفه كانوا على ما قال ابن عباس وابن جبير: ثلاثة فقط، أو كانوا اثني عشر على أقصى عدد ذكره المفسرون، فجاء إبراهيم ﷺ لهم بعجل مع علمه أنهم لا يأكلون ربه أو عشره، زيادةً في إكرام الضيف، إذ يستحب أن يقدم للضيف فوق ما يأكل عادة حتى لا يكون في حرج من نفاذ ما يقدم له من طعام.

ووصف العجل هنا بأنه ﴿حَنِيدٌ﴾ وفي «سورة الذاريات» بأنه ﴿سَمِينٍ﴾، فقال تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ﴾^(١)، من باب التنويع الأسلوبى، والجمع بين الوصف العام والوصف الخاص، فبين كلمتي ﴿سَمِينٍ﴾ و﴿حَنِيدٍ﴾ عموم وخصوص مطلق، فكل حنيد سمين، وليس كل سمين حنيدًا، فالحنيد هو: السمين الذى يقطر ودكه، (أى: شحمه ودهنه)، وقيل: السمين المشوى، بالرضف، (أى: الحجارة المحمأة في أخذود أو نحوه)، وكل ذلك إنما يدل على شدة كرم أبي الأنبياء إبراهيم ﷺ.

(١) [سورة الذاريات، الآية ٢٦].

٣ - كلمة ﴿قَائِمَةٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَأَمْرَأَةٌ قَائِمَةٌ فَضَحِكْتُمْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقٍ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ﴾^(١).

والمراد بقوله تعالى: ﴿قَائِمَةٌ﴾ كما ذكره أكثر المفسرين وأخرجه ابن أبي حاتم عن مجاهد «أنها كانت قائمة في الخدمة، أي في خدمة ضيوف إبراهيم ﷺ، وذلك مع تقدم سنها، حيث ذكر بعض المفسرين أنها كانت في التاسعة والتسعين، وذلك يدل على علو همة آل بيت إبراهيم ﷺ جميعاً في كرم الضيافة والاعتناء بأمر الضيوف، ونذكر هنا قول حاتم الطائي^(٢):

وإني لعبدُ الضيفِ، مادام ثاويًا وما فيَّ إلا تلك من شيمَةِ العبدِ
وذكر بعض المفسرين: أن قيامها كان من وراء ستار،
وذكر بعضهم: أن نساءهم كانت لا تحتجب ولا سيما
العجائز، وقد كانت ﷺ عجوزًا، وغني عن الذكر أنها
كانت في زي المؤمنات الصالحات.

أما ضحكها فقليل: إنه كان سرورًا بإهلاك أهل
الفساد من قوم لوط، وقيل: من غفلة قوم لوط مع

(١) [سورة هود، الآية ٧].

(٢) ديوان حاتم الطائي، ص ١٩.

قرب عذابهم، وقيل: تعجبًا من إمساك الأضياف عن الأكل، حيث قالت: عجبًا لأضيافنا نخدمهم بأنفسنا ولا يأكلون طعامنا.

٤ - كلمة ﴿فَاسْتَعَصِمَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعَصِمَ﴾^(١).

فكلمة «استعصم» هي المعادل اللغوي الأدق لتصوير عفة يوسف عليه السلام، ووقوفه كالجبل الشامخ الأشم في مواجهة إغراء امرأة العزيز له، فهو لم يعتصم بحبل الله فحسب، لكنه استعصم.

وإذا كانت زيادة المبنى زيادة في المعنى، فإنه قد قابل زيادة إغرائها تارة وتهديدها أخرى بمزيد من الاستعصام بحبل الله المتين.

يقول الزمخشري: إن الاستعصام بناء مبالغة تدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد، كأنه في عصمة وهو مجتهد في الاستزادة منها، بل إن يوسف عليه السلام قد قابل تهديدها له بالسجن بدعائه ربه ﷻ أن يصرف عنه

(١) [سورة يوسف، جزء من الآية ٣٢].

كيدهن حتى لو كان ذلك بإلقائه في السجن، حيث قال - كما تحدث القرآن الكريم على لسانه: ﴿رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ (١) (٢).

فقد طلب يوسف ﷺ العصمة واستمسك بها في صلابة ورباطة جأش حتى استجاب له ربه، وهو ما يصوره قول الحق ﷻ: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ، فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٣).

٥ - كلمة ﴿فَأَنْبَدَتْ﴾ وكلمة ﴿فَأَجَاءَهَا﴾ في قوله تعالى في سورة مريم ﷻ: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَأَنْبَدَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ (٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مَتَّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا﴾ (٢٣) فَنَادَتْهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ (٢٤) وَهَزَيْ إِلَيْكَ الْجِذْعَ النَّخْلَةَ تَسْقُطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَبِيًّا﴾ (٢٥) فَكَلِمَى وَأُشْرِي وَقَرِي عَيْنًا فِيمَا تَرِينَ مِنْ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقَوْلِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ (٤).

(١) تفسير الكشاف للزمخشري، ج ٢ ص ٤٦٧، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الثالثة.

(٢) [سورة يوسف، جزء من الآية ٣٣].

(٣) [سورة يوسف، الآية ٣٤].

(٤) [سورة مريم، الآيات ٢٢-٢٦].



في هذه الآيات فوائد ونكات علمية وبلاغية كثيرة،
منها :

أ- التعبير بلفظ ﴿انْبَدَتْ﴾، ولم يقل قصدت أو طلبت، وإنما اختار النص القرآني لفظاً يُعادل الحالة التي كانت بينها وبين قومها، وهي حالة النبذ لها، والرفض لما بدا عليها من علامات الحمل، وهو ما تجلّى في قولهم لها: ﴿يَتَأَخَّتْ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾^(١).

ب- ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾^(٢).

جاء التعبير بلفظ « فأجاءها » بمعنى ألجأها إلاجاءً واضطرها اضطراراً، حيث كانت تريد أن تتوارى عن أعين القوم، ثم إن المخاض وهو إرهاصات الولادة يكون من أصعب لحظاتها، فكأنها تتحرك حركة عفوية لا إرادية من الألم النفسي من جانب، والألم الجسدي من جانب آخر، وكان الإلاجاء أو اللجوء إلى جذع النخلة، حيث كانت وحيدة فريدة تحتاج إلى شيء قائم صلب

(١) [سورة مريم، الآية ٢٨].

(٢) [سورة مريم، جزء من الآية ٢٣].

تُمسك به أو تستند إليه، حيث فقدت من تستند إليه أو
من يحنو عليها من عالم البشر، فقالت: ﴿يَلِيَّتِي مِثُّ قَبَلٍ
هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا﴾^(١).

٦ - كلمة ﴿الْقَنِينِ﴾ في قوله تعالى في قصة مريم عليها السلام:
﴿وَكَاثَتْ مِنَ الْقَنِينِ﴾^(٢).

يقول النحويون: إنَّ جمع المذكر السالم قد يطلق على
جمع المؤنث السالم على سبيل التغليب، لكنَّ النحويين
والأصوليين يتفقون على أنَّ ما جاء على أصله لا
يُسال عن علته، وما جاء على خلاف الأصل فلا بد
لخروجه على هذا الأصل من علة.

ونؤكد أن في هذه الآية واختيار هذا اللفظ نكتة علمية
بلاغية في العدول عن صيغة جمع المؤنث «القانات» إلى
صيغة جمع المذكر ﴿الْقَنِينِ﴾، وذلك أنَّ خدمة دُور العبادة
لم تكن تعهد إلى النساء قط، ولذا عندما وضعت امرأة
عمران ابنتها مريم عليها السلام قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ

(١) [سورة مريم، جزء من الآية ٢٣].

(٢) [سورة التحريم، جزء من الآية ١٢].

أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكْرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمِئْتُهَا مَرِيماً وَإِنِّي
أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١١﴾، فلما قامت
مريم عليها السلام بخدمة بيت الرب خير قيام، وقامت مقام خيرة
الرجال في هذه الخدمة، راعى النص القرآني البعد الدلالي
المعنوي للكلمة، للتأكيد على أنها أدت دوراً مهماً لا يقوم به
إلا الرجال الأقوياء المخلصون، بل قد لا يقوى عليه كثير من
الرجال، حيث يقول الحق ﷻ: «وَلَيْسَ الذَّكْرُ كَالْأُنْثَىٰ» أي
وليس الذكر الذي كنت تتمنين كالأُنْثَى التي رزقك الله ﷻ
بها، فهي خيرٌ من كثير من الرجال في برّها وتقواها وخدمتها
لبيت الله، ومن هنا استحقت مريم عليها السلام أن تكون في عداد
«القانتين» لأنها قامت بما يقوم به الرجال، ولم يعهد في زمانهم
أن تقوم به النساء.

ثانياً: بلاغة التراكيب:

إذا كان القرآن الكريم تحدث عن بلاغة المفردة اللغوية
التي لا نستطيع أن نأتي مكانها بأي كلمة أخرى فقد
تحدث عن بلاغة التراكيب أيضاً، ومنها:

(١) [سورة آل عمران، الآية ٣٦].



١ - قوله تعالى على لسان إبراهيم ﷺ: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾^(١)، ﴿وَرَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾^(٢).

ففي الآية الأولى الكلام عن واقع معين، حين زار إبراهيم ﷺ المكان قبل أن يصبح بلدًا، فدعا ﷻ لهذا المكان أن يكون بلدًا وأن يكون آمنًا، فـ ﴿بَلَدًا﴾ مفعول ثانٍ لـ ﴿اجْعَلْ﴾، وـ ﴿آمِنًا﴾ صفة لـ ﴿بَلَدًا﴾.

أما في الآية الثانية فقد دعا إبراهيم ﷺ للبلد أن يكون آمنًا، وذلك بعد أن صار ﴿بَلَدًا﴾، فكلمة ﴿الْبَلَدَ﴾ بالألف واللام بدل من اسم الإشارة، وـ ﴿آمِنًا﴾ هي المفعول الثاني لـ ﴿اجْعَلْ﴾.

ففي سورة البقرة دعا إبراهيم ﷺ للمكان بدعوتين: الأولى: أن يكون بلدًا، والأخرى: أن يكون آمنًا، أما في سورة إبراهيم ﷻ فقد دعا للمكان بعد أن صار بلدًا أن يكون آمنًا، تأكيدًا منه على مطلب الأمن لأهل هذا

(١) [سورة البقرة، جزء من الآية ١٢٦].

(٢) [سورة إبراهيم، جزء من الآية ٣٥].

البلد، وهو ما استجاب له رب العزة فقال ﷺ: ﴿أَوْلَمْ
تُمْكِن لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجِئَ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (١).

٢ - قوله تعالى على لسان زكريا ﷺ: ﴿قَالَ رَبِّ
اجْعَلْ لِي ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ ءَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا
رَمَزًا﴾ (٢)، وفي سورة مريم: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي ءَايَةً
قَالَ ءَايَتُكَ ءَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ (٣).

ذلك أن أيام العرب وشهورهم وسنيهم قمرية، فالليل
في حسابهم يسبق النهار، ففي التاسع والعشرين من
شعبان نترقب هلال رمضان، فإذا ظهر هلال رمضان
كانت أول ليلة من ليالي رمضان، ثم يعقبها أول يوم منه،
وهكذا في هلال شوال وسائر الشهور.

وسورة «مريم» التي جاء فيها ذكر الليالي مكية، وسورة
«آل عمران» مدنية، وسورة «مريم» سابقة في نزولها لسورة
«آل عمران»، فجعل السابق للسابق واللاحق لللاحق.

(١) [سورة القصص، جزء من الآية ٥٧].

(٢) [سورة آل عمران، جزء من الآية ٤١].

(٣) [سورة مريم، الآية ١٠].



٣ - قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(١)، ففي هذه الآية تأكيد على أن مسألة الرزق مردها إلى الله ﷻ وحده، لا تجري على قدر العقول والأفهام، يقول أبو تمام الطائي^(٢):

لو كانت الأرزاق تجري على الحجا هلكن إن من جهلن البهائي
ويقول الإمام الشافعي رحمه الله^(٣):

وَمِنْ الدليل عَلَى القَضَاءِ وَحُكْمِهِ بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق
ومع أن السعي والأخذ بالأسباب مطلوب ومشروع فإن الأمر كله في ضمانه رب العالمين وحده، وجاء لفظ ﴿دَابَّةٍ﴾ نكرة في سياق النفي لإفادة العموم، واستخدم النص القرآني أسلوب التوكيد بطريق النفي والاستثناء وهو أعلى طرق القصر في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي

(١) [سورة هود، الآية ٦].

(٢) أدب الدنيا والدين لأبي الحسن الماوردي، ص ٣٣.

(٣) ديوان الإمام الشافعي لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي المتوفى عام ٢٠٤ هـ ص ٧٥.



كَتَبَ مُبِينٍ ﴿^(١)﴾، تأكيداً على أنه ما من دابة في البر، ولا في البحر، ولا في الأرض، ولا في السماء فيما نعلم وفيما لا نعلم إلا على الله رزقها، وهذا يطمئنا إليه أيضاً نبينا محمد ﷺ حيث يقول: «.. وَإِنَّ الرُّوحَ الأَمِينَ قَدْ نَفَثَ فِي رَوْعِي أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوِيَ رِزْقَهَا فَأَجْلُوا فِي الطَّلَبِ»^(٢)، وفي التتميم بقوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ فائدة أخرى، يقول سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه: إن مستقرها حيث تأوي ومستودعها حيث تموت، وعليه يكون المعنى يعلم مستقرها حيث تكون ليسوق إليها رزقها حيث كانت في البر، أم في البحر، أم في الجو، ويعلم مستودعها أي مكان موتها، فالموت مقدر زماناً ومكاناً، ولن تموت نفس حتى تستوفي أجلها، ويكون ذلك في المكان والزمان الذي علمه وحدده رب الخلائق كلها .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: مستقرها الأرحام ومستودعها حيث تموت، أي أن الله ﷻ يعلم مكانها

(١) [سورة هود، الآية ٦].

(٢) شعب الإيمان، باب في التوكل، حديث رقم ١١٤١ .

ومستقرها أول ما تحتاج إلى الرزق وهي لا تزال في الرحم، ومستودعها حيث تموت، حيث يساق إليها قبل موتها آخر ما تحتاج إليه من الرزق^(١).

وتنوين ﴿كُلُّ﴾ في قوله تعالى: ﴿كُلُّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾^(٢)، للعوض، والتقدير: كل ذلك من رزق كل دابة، وعلم مستقرها، وسوق رزقها إليها فيه، وعلم مستودعها حيث تموت كل ذلك في كتاب مبين، ﴿لَا يَصُدُّ رَيِّْ وَلَا يَنْسَى﴾^(٣).

٤ - قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَذْقَنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكْفُرُ﴾^(٤) وَلَيْنَ أَذْقَنَاهُ نِعْمَاءً بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ^(٥) إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ^(٦).

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري تحقيق: أحمد محمد شاكر، ج ١٥ / ص ٢٤١ حديث رقم ١٧٩٦٢، ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

(٢) [سورة هود، جزء من الآية ٦].

(٣) [سورة طه، جزء من الآية ٥٢].

(٤) [سورة هود، الآيات ٩-١١].



أ- عبر النص القرآني في جانب الرحمة والنعماء بلفظ الإذاقة للتأكيد على أن النعمة قد وصلت إلى الإنسان، وذاق حلاوتها، واستمتع بها، طال الزمن في ذلك أم قصر، أما في جانب الضراء فقد عبر الحق ﷻ بكلمة «مسّته» للإشعار بأن الضراء كانت في أدنى درجاتها، فقد مسّته مجرد مس، وهو أدنى درجات الالتقاء أو الملاقاة، وفي ذلك من اللطف الإلهي ما لا يخفى، وتأكيد على أن الإنسان خلق ضعيفاً، وأنه ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۚ﴾ (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿١١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿١﴾.

ب- في إسناد الإذاقة إلى الله ﷻ تأكيد على أنها فضل نعمة مساقاة من الله إلى عباده وخلقهم، أما المس فقد أسند إلى الإنسان ؛ لأن العقاب بإزالة النعم والحرمان منها إنما يكون لتقصير الإنسان في شكرها، يقول الحق ﷻ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (٢)، وقد يكون ذلك ابتلاءً

(١) [سورة المعارج، الآيات ٢٠-٢٣].

(٢) [سورة إبراهيم، الآية ٧].



واختبارًا، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط، وهذا ما يشير إليه الحديث الشريف، عن صهيب، قال: قَالَ ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»^(١).

ج- في التعبير بقوله تعالى: «نزعناها» دون غيره، كنحو: سلبنها أو أزلناها أو أخذناها، ما يدل على شدة تعلق الإنسان بالنعمة وحرصه عليها كما هو الحال في شأن الملك، وهو ما بينه قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢)، فالإتيان فيه سهولة ويسر، وفي النزاع دلالة على شدة تعلق المنزوع منه بالمنزوع.

د- استخدم النص القرآني صيغ المبالغة: «يثوس»، «كفور»، «فرح»، «فخور» للدلالة على شدة اليأس

(١) صحيح مسلم - كتاب الزهد والرفائق - باب المؤمن أمره كله له خير - حديث رقم ٢٩٩٩.
(٢) [سورة آل عمران، الآية ٢٦].



وكفران النعمة عند هذا النوع من البشر في الحالة الأولى التي هي زوال النعمة عنه، وشدة الفرح وهو هنا بمعنى البطر والأشر والاستعلاء على الناس، وفي الحالة الثانية التي هي سوق النعمة إليه، إلا من استثناه الله ﷻ وهم الذين صبروا في الضراء وشكروا في النعماء.

٥ - في قوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ، وَكَانَ فِي مَعْرِلٍ يَبْنَئِي أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٤﴾ قَالَ سَاوِيَّ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٥﴾﴾^(١).

فقد قال ﷺ على لسان نوح ﷺ: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ ولم يقل لا عاصم اليوم من الماء، تأكيداً على أن الله ﷻ إذا أراد أمراً - أي أمر - فلا معقب لحكمه ولا راد لأمره أو قضائه: ﴿تَمَّا أَمْرُهُ إِذْ أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٢)، فليس الأمر أمر الماء والجبل فقط، إنما هو مشيئة الله بإهلاك الظالمين

(١) [سورة هود، جزء من الآية ٤٢، الآية ٤٣].

(٢) [سورة يس، الآية ٨٢].



والخارجين على منهجه وشرعته، فأراد نوح عليه السلام أن ينبه ابنه على خطئه في تسميته ماء وتوهمه أنه كسائر المياه التي يمكن أن يتخلص الإنسان منها بالهرب أو اللجوء إلى قمة جبل أو نحوه، وذكر كلمة «اليوم» للتنبيه على أنه ليس كسائر الأيام التي تقع فيها الوقائع وتلم الملمات المعتادة التي ربما يتخلص منها بالالتجاء إلى الأسباب العادية أو البشرية، إنما هو يوم خاص فيه عذاب غير مردود عن الكافرين والظالمين، ولا نجاة فيه بأي سبب إلا بسبب واحد؛ هو التعلق بجبل الله المتين والاعتصام برحمته عليه السلام ووعدته لعباده المؤمنين.

٦ - قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿فَمَنْ تَعْبَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

لم يستخدم النص القرآني طباق السلب فلم يقابل ﴿فَمَنْ تَعْبَنِي﴾ بمن لم يتبعني، واستخدم طباق الإيجاب في قوله: ﴿وَمَنْ عَصَانِي﴾؛ لأنه لو قال ومن لم يتبعني لشمّل الحكم من بلغته دعوته عليه السلام ومن لم تبلغه هذه

(١) [سورة إبراهيم، جزء من الآية ٣٦].

الدعوة، أما حين قال: وَمَنْ عَصَانِي « فقد اقتصر الأمر على من بلغته الدعوة وعصى، وهذا من رحمة الله بعباده، حيث يقول ﷺ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^(١)، غير أنه تبقى مسئولية كبيرة على الدعاة في البلاغ المبين وتوصيل رسالة خاتم الأنبياء محمد ﷺ إلى العالمين.

٧ - قوله تعالى: ﴿فَنَادَيْتُهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾^(٢٤) وَهَزَيْتُ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِينًا^(٢٥) فَكُلِّي وَأَشْرِبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَمَا تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾^(٢)

فالعطف بالفاء في قوله تعالى: ﴿فَنَادَيْتُهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾^(٣) للتأكيد على لطف الله ﷻ ورحمته بعباده، ففي اللحظة التي وصل فيها الأسي عندها إلى مداه، وضافت عليها الأرض بما رحبت، كان اللطف والرحمة ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾،

(١) [سورة الإسراء، جزء من الآية ١٥].

(٢) [سورة مريم، الآيات ٢٤-٢٦].

(٣) [سورة مريم، الآية ٢٤].



وهُزِّي هذه النخلة التي هي جافة يابسة تساقط عليك
رطبًا جنياً .

وفي الحديث عن وجود الماء والتمر جاء ذكر الماء
أولاً: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحَنَّكَ سَرِيًّا﴾ أي نهرًا أو جدولًا
عذبًا، ثم جاء ذكر التمر، ثانيًا في قوله تعالى: ﴿وَهَزَى
إِلَيْكَ بِمِجْزِ النَّخْلَةِ تَسْقُطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا﴾^(١)، أما في
الحديث عن ترتيب تناول الطعام والشراب، فقد جاء
ذكر الطعام أولاً، والشراب ثانيًا، ﴿فَكُلْ وَأَشْرَبْ وَقَرِّ
عَيْنًا﴾، فما سر تقديم الماء في الأولى وتأخيره في الثانية؟
جاء ذكر الماء أولاً في الأولى لأنَّ حاجة النفساء إليه
أعم وأهم، فهي تحتاجه للتطهير والغُسل والشراب،
وحاجتها إليه للتطهير أشد، كما أن من يأكل الرُّطْبَ
يحتاج في الغالب إلى الماء جانبه، فكان وجود الماء أولاً
لتأكل وهي مطمئنة إلى وجود حاجتها من الماء.

أما الثانية: فقدم الأكل جرياً على النسق العربي في
نحو قولهم: كل واشرب، يقول الحق ﷺ: ﴿وَكُلُوا

(١) [سورة مريم، الآية ٢٥].

وَأَثْرُبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴿١﴾، وفيه أيضًا تأكيد على أهمية التمر بالنسبة للنفساء لسهولته على المعدة في الهضم وفوائد أخرى عديدة.

وذكر بعض أهل العلم نكتة علمية في لفت النظر إلى الأخذ بالأسباب في قصة مريم عليها السلام، فقالوا: إن من أوجد لها جدول الماء وأثمر لها جذع النخلة بالرطب الجنى كان قادرًا على أن يرسل إليها التمر على طبق من ذهب أو فضة، لكنه عليه السلام قال لها: ﴿وَهَزِي إِلَيْكَ بِجَذْعِ النَّخْلَةِ سَقَطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا﴾ ^(٢)، تأكيدًا على أهمية العمل وضرورة الأخذ بالأسباب، فقال الشاعر ^(٣):

ألم ترَ أن الله قال لمريم وهزي إليك الجذع تساقط الرطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هزة جنته ولكن كل شيء له سبب

كما علق بعض أهل العلم على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ

(١) [سورة الأعراف، جزء من الآية ٣١].

(٢) [سورة مريم، الآية ٢٥].

(٣) نهار القلوب في المضاف والمنسوب لأبي منصور الثعالبي، ص ٥٩٠، رقم ٩٧٦، ط: دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٥.

الطَّيْرَ تَعْدُو جَمَاصًا وَتَرُوْحُ بِطَانًا»^(١)، فقالوا: إِنَّ الطَّيْرَ تَأْخُذُ
 بِالْأَسْبَابِ فَتَعْدُو جَوْعَى وَتَرُوْحُ وَقَدْ رَزَقَتْ لَسْعِيهَا، وَلَمْ
 تَمَكِّثْ وَتَبَقَ فِي أَوْكَارِهَا أَوْ أَعْشَاشِهَا، فَلَيْتَنَا نَتَعَلَّمُ مِنَ الطَّيْرِ
 سَعِيهَا وَتَبْكِيْرِهَا، وَالغَدْوُ هُوَ السَّيْرُ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ، وَالرُّوْحُ
 هُوَ الْعَوْدَةُ فِي آخِرِهِ، وَقَدْ حَثَّنَا الْإِسْلَامُ كِتَابًا وَسُنَّةً عَلَى
 السَّعْيِ وَالْعَمَلِ، فَقَالَ الْحَقُّ ﷺ: ﴿فَأَمْسُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ
 رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾^(٢)، وَقَالَ ﷺ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعْمًا قَطُّ،
 خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ
 السَّلَامُ، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»^(٣).

قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ
 إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾^(٤).

ففى قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ يقف
 الكسائى على ﴿فَعَلَهُ﴾، ويجعل الفاعل مقدرًا، أى
 فعله من فعله، وعليه يكون المعنى: فعله من فعله

(١) سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ، كِتَابُ الزُّهْدِ، بَابُ فِي التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ، حَدِيثٌ رَقْمٌ ٢٣٤٤.

(٢) [سورة الملك، جزء من الآية ١٥].

(٣) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كَسَبِ الرَّجُلِ وَعَمَلِهِ بِيَدِهِ، حديث رقم: ٢٠٧٢.

(٤) [سورة الأنبياء، الآية ٦٣].

فلا تشغلوا بالفاعل إنما عليكم أن تفكروا في عجز أصنامكم التي لم تستطع أن تدفع عن نفسها، ثم استأنف فقال: ﴿كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾، وقال بعض المفسرين: إنما علّق النص القرآني فعل كبيرهم على نطقهم، أي فعله كبيرهم إن كانوا ينطقون فاسألوهم، وجعل جملة ﴿فَسَأَلُوهُمْ﴾ جملة اعتراضية.

وقال بعض المفسرين: إن إبراهيم ﷺ سلك في هذه الآية مسلكاً تعريفيّاً يؤدي إلى مقصده الذي هو إلزامهم الحجة على أطف وجه وأحسنه، بإسناد الفعل إلى كبيرهم إن كان ينطق، لينتهي من هذه المحاجة إلى تسليمهم بعجز آلهتهم ﴿لَقَدْ عَلِمْتَمَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾^(١).

٩ - قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ ﴿٨٨﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ، رُوحَهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خٰشِعِينَ﴾^(٢).

(١) [سورة الأنبياء، جزء من الآية ٦٥].

(٢) [سورة الأنبياء، الآيتان ٨٩، ٩٠].



ففي قوله: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَى﴾ قدم هبة الولد لذكرها ﷺ على إصلاح زوجه، على أن النظر في ترتيب الأسباب والمسببات العادية يقتضي أن يتقدم إصلاح الزوج على إنجاب الولد، لكن النص القرآني جاء على خلاف ذلك، لأن قدرة الله ﷻ ومشئته لا تحدهما أسباب ولا مسببات: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١)، فكانه ﷻ يقول: نحن قادرون على أن نهب لذكريا ﷻ أو غيره الولد؛ سواء أصلحنا له الزوج أم لم نصلحها، فما هو عجيب مستغرب عندكم إنما هو سهل يسير في جانب قدرة الله ﷻ، وهو ما أجابت به الملائكة زوج إبراهيم ﷻ عندما أبدت دهشتها وتعجبها في مثل هذا الموقف.

وهو ما يصوره القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَأَمْرَانَهُ، قَائِمَةٌ فَضَحَكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ﴾^(٢) قَالَتْ يَتُولَىٰ أَيْ الْوَالِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَنْعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكْنَاهُ، عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾^(٢).

(١) [سورة يس، الآية ٨٢].

(٢) [سورة هود، الآيات ٧١ - ٧٣].



إضافة إلى أن تقديم الهبة على الإصلاح تقديم للبشرى، وهي الأهم في مثل هذا الموقف، إذ تأتي البشرى أولاً للمتلهف لها، ثم يأتي بعد ذلك تفصيل الكلام أو ذكر الأسباب وبيان الحال، وقد أمرنا ديننا الحنيف بالبشرى، وإدخال السرور على النفس البشرية، يقول نبينا ﷺ: «يسرّوا ولا تعسّروا، وبشّروا ولا تنفّروا»^(١).

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْـرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ﴾^(٢)، بيان وتعليل لسرعة استجابة الدعاء، ولما ينبغي أن يكون عليه حال من يرجو إجابة دعائه من حسن الصلة بالله ﷻ والمسارعة في الخيرات، والدعاء سرًّا وعلنًا، رغبًا ورهبًا، في قنوت، وخشوع، وتضرع، واستكانة لله رب العالمين، فكرياً ﷻ وآله لم يكونوا يفعلون الخيرات فحسب، إنما كانوا يسارعون فيها مع ملازمتهم الدعاء سرًّا وعلانية، رغبًا ورهبًا، وكانوا لله الأحد خاشعين.

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوُّهُمْ بِالْمُرْغَبَةِ وَالْعِلْمِ كَيْ لَا يَنْفُرُوا، حديث رقم ٦٩، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير، حديث رقم ١٧٣٤.
(٢) [سورة الأنبياء، جزء من الآية ٩٠].

قوله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا
 أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ (٣٦) رَجَالٌ لَا نُلَيْهِمْ
 تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا
 نَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا
 عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١﴾ .

أولاً: في قوله تعالى: ﴿ لَا نُلَيْهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ ﴾ جاء ذكر
 البيع بعد ذكر التجارة من باب ذكر الخاص بعد العام،
 فما قيمة هذا التخصيص؟

لا شك في أن التجارة بيع وشراء، وأن الربح عند
 البيع متحقق ناجز، وعند الشراء متوقع أو مظنون لا
 يتم ولا يتحقق إلا عند البيع، وقد يعرض للسلعة تلف
 أو كساد سوق أو تغير أحوال ونحو ذلك، فلا يلزم من
 نفي إلهاء الشراء الذي هو قسيم البيع نفي إلهاء البيع،
 في حين أن من ترك المكسب المتيقن كان ترك المظنون
 عليه أيسر، فالتعبير القرآني بذكر البيع بعد التجارة
 يفيد شدة إقبالهم على الله ﷻ، بحيث لا يشغلهم عنه
 شيء ولو كان ربحاً متحققاً في أيديهم .

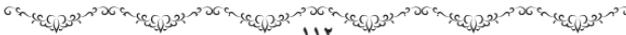
(١) [سورة النور، الآيات ٣٦-٣٨].



ثانياً: في قوله تعالى: ﴿وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾ أثر النص القرآني التعبير بلفظ القيام دون الوقوف لأمرين: أحدهما: أن القيام يقتضي الثبات والتمهل، أو الإقامة ونحوها، يقال: أقام فلان بالمكان إذا لبث فيه واتخذهُ وطنًا، وهذا يعني أن القائم للصلاة أو المقيم لها ينبغي أن يعطيها حقها من السكينة والطمأنينة .

الآخر: أن القيام من معانيه العزم، والمحافظة، والاهتمام بالأمر، يقال: قام فلان للأمر إذا تهيأ له واستعد، وشمر عن ساعد الجد لقضائه، والإسلام لا يريد لها مجرد ركعات خاطفة، إنما يريد لها عبادة تنبع من عقيدة صادقة، فتؤتي ثمرتها في إصلاح صاحبها، فتقوم سلوكه، وتنهيه عن الفحشاء والمنكر، وهذا لا يتأتى إلا بمن تهيأ واستعد وأخذ الأمر بجده وعزيمته .

وهنا يتوافق سياق النص مع سياقه القرآني الذي أثر لفظ القيام ومشتقاته دون لفظ الوقوف في جميع المواضع أو الآيات التي تحدثت عن الصلاة وإقامتها،





فقال ﷺ: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾^(١)، ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾^(٢)، ﴿لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾^(٣)، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾^(٤)، ﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾^(٥)، ﴿سَجَدًا وَفِيكُمْ﴾^(٦)، ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾^(٧)، إلى غير ذلك من المواضع.

ثالثًا: أكدت هذه الآية أن الذين يعمّرون بيوت الله ويذكرونه ويسبحونه هم رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وهو ما أكدته -أيضًا- آية التوبة بأسلوب القصر: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾^(٨)، وهو ما يؤكد التمام النسق القرآني، وانسجام بعضه مع بعض،

(١) [سورة البقرة، جزء من الآية ٢٧٧].

(٢) [سورة البقرة، جزء من الآية ٣].

(٣) [سورة إبراهيم، جزء من الآية ٣٧].

(٤) [سورة البقرة، جزء من الآية ٤٣].

(٥) [سورة المزمل، جزء من الآية ٢].

(٦) [سورة الفرقان، جزء من الآية ٦٤].

(٧) [سورة النساء، جزء من الآية ١٦٢].

(٨) [سورة التوبة، الآية ١٨].



وتفسيره بعضه لبعض، وتقوية هذا المعنى لذلك،
وارتباطه به، وإن تباعدت مواضع السور أو الآيات .

رابعاً: لما كان فعل هؤلاء الرجال متميزاً في إخلاصهم
لله ﷻ، وتركهم المكاسب الدنيوية ابتغاء رضوانه، كان
عطاء الله لهم خاصاً ومتميزاً، فإنه سيجزيهم أحسن ما
عملوا، ويزيدهم من فضله، وفي التذييل بقوله تعالى:
﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(١) ما يوحي بأن الله
سيعطيهم عطاء لا حدود له، وسيرزقهم بما لم يكن في
حسابهم، بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر
على قلب بشر .

قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ
يَهْدِينِ﴾^(٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ^(٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ
يَشْفِينِ^(٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ^(٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ
أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ^(٨٢) .

فقد جاءت التراكيب ﴿الَّذِي خَلَقَنِي﴾، ﴿وَالَّذِي
يُمِيتُنِي﴾، ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي﴾ بدون ضمير الفصل

(١) [سورة النور، جزء من الآية ٣٨].

(٢) [سورة الشعراء، الآيات ٧٨-٨٢].

﴿هُوَ﴾، في حين جاءت التراكيب: ﴿فَهُوَ يَهْدِين﴾، ﴿هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِين﴾، ﴿فَهُوَ يَشْفِين﴾، مشتملة على ضمير الفصل ﴿هُوَ﴾، وذلك لأن الأفعال الأولى المتمثلة في الخلق والإماتة والإحياء ومغفرة الذنوب لا يجادل فيها أحد، بل إن أكثر الناس على التسليم المطلق فيها لله ﷻ، أما جانب الرزق المعبر عنه بالإطعام والسقيا، وجانب الشفاء، وجانب الهداية إلى الصراط المستقيم فهو مما يغفل كثير من الخلق عن الاعتماد على خالقهم فيه، وتهتز عند بعضهم فيه قضية التسليم المطلق، فتجد منهم من يخادع أو ينافق أو يغش ظناً منه أن ذلك قد يجلب له نفعاً في الرزق أو يدفع عنه ضرراً، ناسياً أنه لن تموت نفس حتى تستوفي أجلها ورزقها، كما أن بعض الناس قد يذهب في مسألة التداوي إلى بعض الدجالين والعرافين والمشعوذين، فلما كان الحال عند بعض الناس في هذه الأمور ينقصه اليقين المطلق في الله ﷻ جاءت هذه الأفعال مؤكدة بضمير الفصل؛ ليؤكد النص القرآني أن رب الخلق ورب الإحياء والإماتة هو رب الهداية، هو رب الإطعام، ورب السقيا، ورب الشفاء، فكما أنه لن تموت نفس حتى تستوفي أجلها ورزقها، فليس من

الإيمان واليقين أن نفوض الأمر لله ﷻ في الأمور الأولى
ولا نفوضه إليه في الأمور الأخرى، فهو وحده القادر
على هذا وذاك، والأمر كله له ﷻ ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ
شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (١).

في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمْرًا حَتَّىٰ
إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ (٢)، حيث جاءت كلمة ﴿فُتِحَتْ﴾
غير مسبوقة ولا مقرونة بالواو، وقوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ
اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمْرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ (٣)،
حيث جاءت كلمة ﴿وَفُتِحَتْ﴾ مسبوقة بالواو، فهذه الواو
التي جاءت في قوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتْ﴾ في الحديث عن أهل
الجنة، قال بعض العلماء والمفسرين: إنها واو الحال، والمعنى:
جاءوها والحال أنها مفتوحة، وذلك من زيادة إكرام الله ﷻ
لعباده المؤمنين أن جعل الجنة مفتوحة الأبواب، مهياً لاستقبالهم
قبل قدومهم إليها، والحال ليس كذلك مع أهل النار، بل إن
النار تأخذهم بغتة.

(١) [سورة يس، الآية ٨٢].

(٢) [سورة الزمر، جزء من الآية ٧١].

(٣) [سورة الزمر، جزء من الآية ٧٣].

وقال بعض المفسرين واللغويين: إن هذه الواو واو
 الثمانية، ذلك أن بعض القبائل العربية كانت تعد،
 فتقول: واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة، سبعة،
 وثمانية، فتأتي بالواو مع العدد الثامن، وذكروا لذلك
 شواهد منها قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَّابِعَهُمْ كَلْبَهُمْ
 وَيَقُولُونَ خَمْسَةً سَادِسُهُمْ كَلْبَهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ
 سَبْعَةً وَثَامِنَهُمْ كَلْبَهُمْ﴾^(١)، حيث ذكرت الواو مع
 العدد الثامن، وقوله تعالى: ﴿التَّحِيَّاتُ الْعِيدُوتُ
 الْحَمْدُوتُ السَّتِيحُوتُ الرَّكْعُوتُ السَّنَجْدُوتُ
 الْأَمْرُوتُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْوتُ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(٢)،
 حيث ذكرت الواو مع العدد الثامن، وقوله تعالى: ﴿عَسَى
 رَبُّهُ; إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مِثْلَ مُؤْمِنَتٍ قَبِلَتْ
 تَبَيَّتْ عِيْدَاتٍ سَيَحْتِ تَبَيَّتْ وَأَبْكَارًا﴾^(٣)، حيث ذكرت الواو
 أيضاً مع العدد الثامن، مع أن الواو في هذه الآية لها معنى
 آخر وهو إفادة التنويع، ولا مانع أن يتضمن الحرف أكثر
 من معنى.

(١) [سورة الكهف، الآية ٢٢].

(٢) [سورة التوبة، الآية ١١٢].

(٣) [سورة التحريم، الآية ٥].



وقد ذكرت واو الثمانية في قوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتْ﴾^(١) في الحديث عن أهل الجنة دون قوله تعالى: ﴿فُتِحَتْ﴾ في الحديث عن أهل النار؛ لأن أبواب النار سبعة لقوله تعالى في الحديث عنها: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾^(١)، أما أبواب الجنة فثمانية لقول نبينا ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ ثُمَّ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ فَتُحْتَلَّ لَهُ ثَمَانِيَةٌ أَبْوَابٍ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ»^(٢).

فلما كانت أبواب الجنة ثمانية أتى معها بالواو، ولما كانت أبواب جهنم سبعة لم يأت معها بالواو، وفي كون أبواب الجنة ثمانية وأبواب جهنم سبعة ما يدل على أن رحمة الله ﷻ أوسع من غضبه، يقول الحق ﷻ: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٣).

(١) [سورة الحجر، الآية ٤٤].

(٢) سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ، أَبْوَابُ الطَّهَارَةِ، بَابٌ فِيهَا يُقَالُ بَعْدَ الوُضُوءِ، حَدِيثٌ رَقْمٌ ٥٥.

(٣) [سورة الزمر، الآية ٥٣].



الموضوع

- ٥ مقدمة.
- ٩ المبحث الأول:
أهل القرآن
- ١٧ المبحث الثاني:
ثلاثون حديثاً مختارة في فضائل القرآن الكريم.
- ٣٣ المبحث الثالث:
قالوا عن القرآن الكريم.
- ٩٣ المبحث الرابع:
سور القرآن الكريم بين الزمان والمكان: أسماء ودلالات.
- ٥٥ المبحث الخامس:
من مواطن الكمال والجمال المعنوي في القرآن الكريم.
جمال الأدب مع الله تعالى في القرآن الكريم.
- ٨٥ المبحث السادس:
من مواطن الكمال والجمال اللغوي في القرآن الكريم.



الهيئة المصرية العامة للكتاب

